حرب القرم ١٨٥٣ـ١٨٥٦
تنامي الطموح الروسي وبداية الانهيار العثماني

أ.د. علي عبد القادر عبد الواحد العبيدي
جامعة ابي بكربلقايد /تلمسان الجزائر

أ.م.د. كاظم حسن جاسم
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص
على ممتلكاتها مما يحول بينها وبين أهدافها الاستراتيجية، وعليه كان اتضاح مظاهر ضعف الدولة العثمانية يثير قلق الجانبين، وكل حادثة تخص الدولة العثمانية كانت تثيرهما الى حد المواجهة .
ومن هذا المنطلق، كانت أي خطوة استباقية لأحدهما يعني خطوات أسرع من الآخرين، علما ان هذا القلق كثيرا ما أدخل الدول الأوربية الكبرى في نزاعات مسلحة خوفا من الطرف الأخر. ولم تكن الحرب التي خاضتها روسيا القيصرية ضد الدولة العثمانية عام ١٨٥٣ إلا نموذجا للهواجس التي كانت تقلق جميع الأطراف. ومن هنا فان موضوع (حرب القرم ١٨٥٣- ١٨٥٦) تنامي الطموح الروسي وبداية نهاية الانهيار العثماني) يستحق الدراسة والتحليل لما له من أهمية
قفزت المسألة الشرقية بعد مدة قليلة من إخماد ثورات عام ١٨٤٨ في أوربا إلى الصدارة من جديد في العلاقات بين الدول الأوربية الكبرى، فقد توفر لتلك الدول الآن بعد أن أبتعد خطر الثورة عن أوربا ما يكفي من الوقت والهدوء للعودة إلى الاهتمام بتحقيق مصالحها التوسعية في ممتلكات الدولة العثمانية، إذ كان لكل واحدة منها نوايا توسعية محددة، فهذه روسيا القيصرية كانت تسعى لأن تعزز نفوذها في الدولة العثمانية، وتحقيق الحلم الذي طال انتظاره منذ سنوات طويلة وهو الوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضايق العثمانية، بينما سعت كل من بريطانيا وفرنسا إلى بسط نفوذهما السياسي والاقتصادي على الدولة العثمانية خاصة، وشرق البحر الأبيض المتوسط عامة، والوقوف في وجه أي قوة تحول دون ذلك. وبناءا عليه، نجد أن مصالح تلك الدول اصطدمت ببعضها وتعمقت المنافسة بينهما، وهذا يعني حدوث المواجهة لا محال .
لقد كانت الدول الأوربية الكبرى المتنافسة تخشى بعضها البعض، فالساسة الانكليز والفرنسيين كانوا يخشون أن تستولي روسيا القيصرية على المضايق العثمانية الأمر الذي يمكنها من الوصول إلى المياه الدافئة ومنافستهما في منطقة البحر الأبيض المتوسط، بالمقابل كانت تسيطر على القيصر الروسي مسالة الخوف من انهيار الدولة العثمانية بشكل مفاجئ، وبما يمكن بريطانيا آنذاك من بسط نفوذها وسيطرتها في كشف طبيعة العلاقات الدولية القائمة آنذاك، فضلا عن تتبع الضغوط التي كانت تتعرض لها الدولة العثمانية، والتي كانت تفقدها سيادتها بالتدريج أمام تزايد أطماع الدول الأوربية الموضوع الكبرى بممتلكاتها. كذلك، لايمكن تجاهل عامل آخر ساهم في إصرارنا على اختيار التشويق الذي أضفاه أستاذنا المشرف عليه، الأمر الذي شكل حافزا لاختياره .

Abstract

Shortly after the revolutions in 1848 in Europe were put down, the eastern issue jumped to the fore again in relations between the major European countries. Now, after the threat of revolution has moved away from Europe, it has provided enough time and calm to return to the interest in achieving its expansionist interests in state property. Ottoman, Each of them had specific expansionist intentions, as this Tsarist Russia was seeking to strengthen its influence in the Ottoman Empire, and to achieve the long-awaited dream for many years, which is access to warm waters and control of the Ottoman straits, while Britain and France sought to extend their political and economic influence. The Ottoman Empire in particular, and the eastern Mediterranean in general, must stand up to any force that hinders that. Accordingly, we find that the interests of these countries collided with each other and competition deepened between them, and this means that a confrontation will inevitably occur.

The major competing European countries feared each other, as the British and French politicians feared that Tsarist Russia would seize the Ottoman straits, which would enable them to reach the warm waters and compete with them in the Mediterranean region. In return, they controlled the Russian Tsar, the issue of fear of the collapse of the Ottoman Empire in a way. Surprisingly, as Britain could at that time extend its influence and control over its possessions, which would prevent it from its strategic objectives, and accordingly, the apparent manifestations of the Ottoman Empire's weakness were causing concern to both sides, and every incident concerning the Ottoman Empire raised them to the point of confrontation.

From this standpoint, any preemptive step for one of them means faster steps than the others, knowing that this concern often brought the major European countries into armed conflicts for fear of the other side. The war that Tsarist Russia waged against the Ottoman Empire in 1853 was not only an example of the concerns that worried all parties. Hence, the topic (the Crimean War 1853-1856), the growth of Russian ambition and the beginning of the end of the Ottoman collapse) deserves study and analysis because of its importance in revealing the nature of the existing international relations at that time, as well as tracking the pressures that the Ottoman state was exposed to, which was gradually losing its sovereignty. In front of the growing ambitions of the major European countries with their properties. Likewise, another factor that contributed to our insistence on choosing the topic cannot be ignored, the excitement that our supervising professor added to it, which formed an incentive for choosing it.

مقدمة

قفزت المسألة الشرقية بعد مدة قليلة من إخماد ثورات عام ١٨٤٨[١] في أوربا، إلى الصدارة من جديد في العلاقات بين الدول الأوربية الكبرى، فقد توفر لتلك الدول الآن بعد أن أبتعد خطر الثورة عن أوربا ما يكفي من الوقت والهدوء للعودة إلى الإهتمام بتحقيق مصالحها التوسعية في ممتلكات الدولة العثمانية، إذ كان لكل واحدة منها نوايا توسعية محددة، فهذه روسيا القيصرية كانت تسعى لأن تعزز نفوذها في الدولة العثمانية، وتحقيق الحلم الذي طال انتظاره منذ سنوات طويلة وهو الوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضايق العثمانية، بينما سعت كل من بريطانيا وفرنسا إلى بسط نفوذهما السياسي والاقتصادي على الدولة العثمانية خاصة، وشرق البحر الأبيض المتوسط عامة، والوقوف في وجه أي قوة تحول دون ذلك. وبناءا عليه، نجد أن مصالح تلك الدول اصطدمت ببعضها البعض وتعمقت المنافسة بينهما، وهذا يعني حدوث المواجهة لا محال.

لقد كانت الدول الأوربية الكبرى المتنافسة تخشى بعضها البعض، فالساسة الانكليز والفرنسيين كانوا يخشون أن تستولي روسيا القيصرية على المضايق العثمانية الأمر الذي يمكنها من الوصول إلى المياه الدافئة ومنافستهما قي منطقة البحر الأبيض المتوسط، بالمقابل كانت تسيطر على القيصر الروسي مسالة الخوف من انهيار الدولة العثمانية بشكل مفاجئ، وبما يمكن بريطانيا، عنذاك، من بسط نفوذها وسيطرتها على ممتلكاتها مما يحول بينها وبين أهدافها الإستراتيجية. وعليه، كان اتضاح مظاهر ضعف الدولة العثمانية يثير قلق الجانبين، وكل حادثة تخص الدولة العثمانية كانت تثيرهما الى حد المواجهة. ومن هذا المنطلق، كانت أي خطوة إستباقية لأحدهما يعني خطوات أسرع من الآخر، علما، إن هذا القلق كثيرا ما أدخل الدول الأوربية الكبرى في نزاعات مسلحة خوفا من الطرف الأخر. ولم تكن الحرب التي خاضتها روسيا القيصرية ضد الدولة العثمانية عام ١٨٥٣ إلا نموذجا للهواجس التي كانت تقلق جميع الأطراف. ومن هنا فان موضوع(حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦ تنامي الطموح الروسي وبداية نهاية الانهيار العثماني) يستحق الدراسة والتحليل لما له من أهمية في كشف طبيعة العلاقات الدولية القائمة آنذاك، فضلا عن تتبع الضغوط التي كانت تتعرض لها الدولة العثمانية، والتي كانت تفقدها سيادتها بالتدريج أمام تزايد أطماع الدول الأوربية الكبرى بممتلكاتها.

اولا: أوجه التدخل الروسي في الشؤون العثمانية

على مدى سنوات طويلة تضافرت عدة عوامل، توزعت مابين الدينية والسياسية والاقتصادية والإستراتيجية، في دفع روسيا القيصرية للعمل من أجل السيطرة على العاصمة العثمانية إسطنبول، وعلية التحكم بالمضائق العثمانية (البوسفور والدردنيل)[٢]. وأخذ هذا التحرك الروسي ابعادا عدة، إذ تارة يأخذ البعد العسكري والعدوان المسلح، وتارة أخرى يأخذ بعدا تنسيقيا مع القوى الأوربية الاخرى، أمثال فرنسا والنمسا، لتحقيق الأهداف المسطرة، فضلا عن محاولاتها التدخل بحجة حماية الارثوذوكس والدفاع عن مصالحهم في ممتلكات الدولة العثمانية. وعليه، فان رغبة الهيمنة التي كانت تختلج صدور القياصرة الروس هي التي دفعتهم، في مناسبات عدة، للتعبير عن رغبتهم في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية. وضرورة ضمان حقوقها في السيطرة على المضائق العثمانية بما يضمن لها فتح أفاق جديدة، ويعزز من مكانتها بين القوى الكبرى آنذاك[٣]. وقد حدد الروس السبل التي يمكن عبرها الزحف والسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية، وتمثلت بمايلي:-

١. الكنيسة الأرثوذكسية[٤]:

إتخذت روسيا القيصرية من إدعائها حماية أتباع المذهب الأرثوذكسي ذريعة للتدخل في الشؤون العثمانية والضغط عليها لتحقيق ما كانت تخطط إليه، بهدف إضعاف قدراتها وإمكانياتها بما يسهل عليها تحقيق أهدافها الإستراتيجية[٥]. وترجع صلة العثمانيين بالكنيسة الأرثوذكسية الى عهد السلطان محمد الفاتح[٦]بعد نجاحه في فتح مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣م [٧].فقد أبقى العثمانيون على أوضاع الكنيسة كما هي ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية من حيث العبادات والوظائف وطريقة تسيير شؤونها، على إعتبار رعاياها من أهل الذمة الواجب حمايتهم[٨]. وعليه، كان البطريرك هو المسؤول عن تسيير شؤون الكنيسة، بعد ما أعتبرها السلطان العثماني مؤسسة دينية مستقلة[٩].

وبذلك، حازت الكنيسة البطريركية في إسطنبول على مكانه أعلى وأسمى من بطريركية أنطاكية والإسكندرية، مما جعلها تحتل المكانة الأولى وتغدو هي الوصية على أتباع الكنيسة الشرقية[١٠].

وجدت روسيا القيصرية في المكانة المميزة التي كانت تحظى بها البطريركية في اسطنبول فرصة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بحجة حماية الكنيسة الأرثوذكسية التي تنتمي إليها[١١]، بالمقابل وجد رجال الدين الأرثوذكس في روسيا القيصرية الأداة التي يمكن أن تحقق لهم التوازن في صراعهم مع رجال الدين الكاثوليك في فرض سيطرتهم على الأماكن المقدسة في فلسطين، الى جانب استعادة مكانة كنيستهم عبر تحريض القياصرة الروس ودفعهم للتدخل في شوون الدولة العثمانية أملا في إنهاء السيطرة العثمانية على كنيستهم[١٢]. وعليه، شكل ذلك الأمر حافزا للقياصرة الروس للاندفاع والضغط على العثمانيين بحجة حماية مصالح الكنيسة الأرثوذكسية ورعاياها للاستفادة منه في تأمين مصالحها هناك.

٢. الرابطة السلافية:

ترجع جذور هذه الرابطة الى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وهي حركة تدعو إلى إعادة إحياء الثقافة واللغة السلافية القديمة عبر إنشاء تجمع يضم كل العناصر السلافية المنتشرة في القسم الشرقي من أوربا وصولاً إلى الممتلكات العثمانية. شهدت هذه الدعوة إنطلاقتها الأولى من الأراضي البولندية، إلا أنها لم تكن تحظى بالاهتمام من جانب القياصرة الروس آنذاك[١٣]. ومنها انتشرت إلى بقية المناطق التي يتواجد فيها العنصر السلافي .ويعد الشاعر جان كولار(١٧٩٣-١٨٥٢) من أبرز من نادى بها وبشر لها، إذ بدأ منذ عام ١٨٢٤ يكتب القصائد التي تتغنى بالعنصر السلافي ويدعو إلى توحده وإعادة أمجاده الغابرة[١٤]. وحينما تنبهت روسيا القيصرية إلى الدور الذي كانت تقوم به الرابطة السلافية من تأثير على السلاف المقيمين ضمن الممتلكات العثمانية، نظرة الروس إليها أخذت تتغير على النحو الإيجابي، واتخذ منها القيصر نيقولا الأول(Nicholas I)[١٥] في أواخر حكمه آداة جديدة يضغط عبرها على الدولة العثمانية بحجة حماية السلاف في أراضيها[١٦]. ومن أجل ذلك تبنت روسيا شعار(الرابطة السلافية)، ومن وراء هذا الشعار رفعت السلاح على الدولة العثمانية بحجة حماية مصالح هؤلاء، في الوقت ذاته، تنامي الشعور القومي لدى هؤلاء، وشكلوا أداة تستعملها روسيا القيصرية في الضغط على الدولة العثمانية من أجل تحقيق أهدافها الإستراتيجية[١٧].

٣. العدوان المسلح :

إتسمت سياسة روسيا القيصرية التوسعية منذ عهد القيصر بطرس الأكبر(١٦٨٢-١٧٢٥) بتغيير توجهاتها من التوسع في أراضي آسيا الوسطى إلى التوسع نحو الجنوب. وهذه السياسة كانت تعني الزحف على الممتلكات العثمانية. وبذلك بدأت تثير المتاعب للسلاطين العثمانيين[١٨]. ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي شهدت حدود الدولتين حروبا عديدة كلها انتهى بنجاح روسيا القيصرية نجاحات إقليمية، أي التوسع على حساب الممتلكات العثمانية، وبعد كل حرب من هذه الحروب كانت روسيا القيصرية تزيد من تماديها واستغلالها لتدهور إمكانيات الدولة العثمانية[١٩].

خلاصة القول، أن روسيا القيصرية لم تكن تتوانى في استغلال الظروف التي كانت تحيط بالدولة العثمانية من اجل تحقيق حلمها في الهيمنة على العاصمة العثمانية ومضائقها من أجل الوصول إلى المياه الدافئة، وضمان دورا أكثر أهمية في السياسة الدولية. وعليه نلاحظ، بأن الحلم الروسي استمر يشكل أرقآ مزمنا للعثمانيين والدول الأوربية الأخرى، بريطانيا تحديدا، التي شعرت بخطورة النشاط الروسي عبر هذه المرحلة وما يشكله من تهديد لمصالحها في الدولة العثمانية. وعليه، حاولت بريطانيا، بالتعاون مع فرنسا، على إبقاء الدب الروسي داخل قفصه وتقليم أظافره باستمرار حتى لايتجرا على اختراق آفاق جديدة، قد تشكل تهديدا لمكانتها كقوة مهيمنة على طرق المواصلات العالمية[٢٠].

خلاصة القول، لابد من الإشارة الى أن حرب القرم، التي نحن بصدد دراستها، يعد أنموذجا لأوجه التدخل الروسي في الشؤون العثمانية، ومحاولتها فرض أرادتها ورغباتها على السلطان العثماني، الأمر الذي دفع الأحداث الى حد المواجهة المسلحة.

ثانيا: أسباب اندلاع الحرب

إن كل نزاع مسلح يشهده العالم تقف ورائه أسباب تتداخل بعضها ببعض لتصب في نهاية المطاف في اتجاه اندلاع النزاع عبر سبب مباشر.

١. الأسباب الغير مباشرة :

تنوعت الأسباب الغير مباشرة في اندلاع الحرب بين الروس والعثمانيين، وهذه الأسباب متداخلة، تعكس طبيعتها الرغبة الروسية في ابتلاع الأراضي العثمانية المتاخمة لها، فضلا عن منطقة البلقان التي كانت تشكل ميدانا خصبا للضغط الروسي على العثمانيين ونجاحها في دفع سكانها للتمرد ضد الحكم العثماني.

أ. الاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية:

ارتكزت السياسة الخارجية للقياصرة الروس منذ تأسيس روسيا القيصرية – تقريبا- على التدخل المباشر في شؤون الدولة العثمانية، والتي اعتبرت من أساسيات السياسة الخارجية الروسية. وبناءا عليه، اتجهت روسيا القيصرية في سياستها إلى إضعاف الدولة العثمانية، بمحاربتها ومساندة الشعوب البلقانية في ثوراتها ضد الحكم العثماني، وانتزاع ما يمكن انتزاعه من ممتلكاتها [٢١].

ومنذ تولي القيصر نيقولا الأول حكم روسيا وهو يمني النفس في انهيار الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها. إذ تيقن القيصر بأنه في حالة انهيارها يمكن لروسيا القيصرية أن تحصل على ما تريد من دون أي جهد أو خسائر[٢٢]. وأن تحقق ذلك، يعني منح روسيا القيصرية مكانه مميزة على صعيد العلاقات الدولية، ودور لا يقل أهمية عن دور كل من بريطانيا وفرنسا[٢٣]. وعليه، نلاحظ أن نيقولا الأول كان ينظر إلى المحاولات الإصلاحية التي تشهدها الدولة العثمانية [٢٤] خطوة قد تعيق المخطط الروسي في المنطقة، والمرتكزة على أهمية ضمان الوصول إلى المياه الدافئة[٢٥]. وحاول نيقولا الأول استمالة بريطانيا للعمل معا على اقتسام الدولة العثمانية. وعبر زيارته إلى بريطانيا في شهر حزيران ١٨٤٤ حاول إقناع رئيس الوزراء البريطاني على ضرورة تقسيمها لأنها ميتة لا محال، ولمح له بأنها ستكون لحظة عصيبة ما لم تحل المسألة قبل فوات الأوان[٢٦]. إلا أن تلك الفكرة، واجهت الرفض من قبل بريطانيا لتصورها حجم الخطر الروسي إذا ما حدث ذلك بالنسبة لمصالحها في منطقة البحر الأبيض المتوسط [٢٧].

وعليه، نلاحظ أن كل من بريطانيا – وحليفتها فرنسا- حاولتا جهد الإمكان الحيلولة دون المساس بالدولة العثمانية من قبل الدول الأخرى، وتحديدا روسيا القيصرية. وأن منعها من الوصول إلى المياه الدافئة أصبح مطلب ضروري، فوصولها سيشكل عاملا معرقلا لمخططاتهما. بالمقابل كانت روسيا القيصرية ترى بأنه مثلما تحاول هاتان الدولتان تأمين مصالحهما في تلك المنطقة، فمن حقها هي الأخرى من أن تعمل بالصورة التي تؤمن لها مصالحا إستراتيجية في مجالها الحيوي، والمقصود هنا الاستيلاء على إسطنبول والمضايق العثمانية، لكي تتوازن الكفة بينهما[٢٨]. ولكن مفهوم التوازن الدولي عند بريطانيا كان يعني إبعاد روسيا القيصرية باستمرار عن المضايق العثمانية من أجل منعها من الوصول إلى المياه الدافئة، وتحديدا البحر الأبيض المتوسط. ولهذا اجتهدت بريطانيا في إتباع سياسة الدفاع عن كيان الدولة العثمانية حرصا منها على منع روسيا القيصرية من الوصول إلى مبتغاها[٢٩].

واعتقد القيصر الروسي في شهر كانون الثاني ١٨٥٣ إمكانية إعادة طرح قضية إنهاء المسألة الشرقية بصورة جذرية، فعرض على السفير البريطاني في روسيا مشروعا لتقسيم الدولة العثمانية، تأخذ روسيا القيصرية، بموجبه المضائق وتحتل اسطنبول مؤقتا، أما الولايات العثمانية في أوربا فتتحد في دولة مستقلة، مقابل ذلك تأخذ بريطانيا، مصر ورودس

وقبرص[٣٠]. لكن بريطانيا رفضت ذلك المشروع تماشيا مع سياستها في حماية الممتلكات العثمانية. [٣١] .

ب. العامل الاقتصادي:

كانت روسيا القيصرية يعد من أهم الدول المصدرة للقمح في العالم، وشهد إنتاجها نموا كبيرا بعد انتهاء الحروب النابليونية [٣٢]. وكان ميناء أوديسا، المطل على البحر الأسود، من أهم الموانى التي تصدر عن طريقه القمح الروسي. ونظرا لأهمية هذا المنتج وما يحققه من عائدات مالية لصالح الحكومة الروسية، كان لابد من العمل على تأمين سيطرة روسيا القيصرية على أسواقه العالمية. ومن أجل تحقيق ذلك لابد من الإستحواذ على كافة مراكز إنتاجه مهما كانت. لكن الوقائع، كانت تشير إلى وجود تهديد مباشر قد يحول بين روسيا القيصرية ورغبتها تلك، وتمثل في وجود ولايتان عثمانيتان هما ولاشيا ومولدافيا[٣٣]، كانتا تنتجان كميات كبيرة من القمح تنافسان الصادرات الروسية، إلى جانب تحكم الدولة العثمانية بالمضائق البحرية التي تنقل عبرها الصادرات الروسية. وبناءا عليه، سعى القيصر الروسي نيقولا الأول إلى السيطرة على هاتان الولايتان حتى يتم التحكم بالإنتاج العالمي لهذا المنتج المهم بما يحقق الفائدة لروسيا القيصرية، إلى جانب التحكم عبرهما بالأحداث التي تشهدها منطقة البلقان[٣٤].

ج. العامل السياسي:

أما بالنسبة للسياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية، فقد أضحى تدخل القيصر الروسي في شؤون الدولة العثمانية سياسة تقليدية لها، كخطوة أولى في سبيل تحقيق الأهداف الدائمة للسيطرة على المضائق (البوسفور والدردنيل)، ومن ثم النفوذ إلى البحر المتوسط، والمياه الدافئة[٣٥]، لذلك اتجهت سياستها عبر القرن التاسع عشر الميلادي إلى العمل على إضعاف الدولة العثمانية، بمحاربتها ومساندة الشعوب البلقانية في ثوراتها التحررية ضد الدولة العثمانية، وانتزاع ما يمكن انتزاعه من ممتلكاتها، فعلى سبيل المثال حاولت روسيا القيصرية في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي مساعدة اليونانيين الأرثوذكس في ثورتهم ضد الدولة العثمانية[٣٦].

د. العامل الديني:

أصبحت روسيا القيصرية بعد الحروب النابليونية من أكثر الدول الأوربية تركيزا على البعد الديني في صراعها مع الدولة العثمانية، لدرجة أنها تبنت بعدا صليبيا في هذا الصراع. لتتخذ منه ذريعة للتوسع على حساب ممتلكات الأخيرة، عبر الادعاء بحماية حقوق ومصالح الأرثوذكس بما يضمن لهم حرية ممارسة عبادتهم، كما ادعت حقها في الأشراف المباشر على الكنائس الأرثوذكسية في إسطنبول وبيت لحم. معززه ادعائها هذا بنصوص معاهدة كوجك كينارجي[٣٧]التي عقدتها الدولة العثمانية معها في عام ١٧٧٤[٣٨].

فيما يتعلق بحقيقة البعد الديني للصراع الروسي العثماني، فقد تلخص في قضية الأماكن المقدسة في فلسطين، وهي قضية كانت تثير عواطف جياشة وجدية في نفوس المسيحيين. وجوهر المشكلة يكمن في الصراع بين الدول الأوربية، عبر كنائسها، على أحقية إدارة الأماكن المقدسة في فلسطين، لاسيما كنيسة الميلاد في بيت لحم. ففي الوقت الذي حاولت الحكومة العثمانية إيجاد نوع من التوازن بين المزاعم المتناقضة للكاثوليك(اللاتين) من ناحية، والأرثوذكس من ناحية أخرى، أخذت روسيا القيصرية تستغل الأزمة هذه للتحرش بالدولة العثمانية. والتي ترجع جذورها إلى مرحلة نهاية الحروب الصليبية حين أصبحت الأماكن المقدسة وما حولها ملكا مشتركا للطوائف المسيحية جميعا، فقد كانت الكنيسة الأرثوذكسية أقوى الكنائس المسيحية داخل الدولة العثمانية باعتبارها ممثلة لأكثر من ثلاثة عشر مليون من رعايا السلطان، الذين ادعت روسيا القيصرية حمايتها لهم فيما بعد، وفي الوقت نفسه ادعت فرنسا حمايتها للكاثوليك؛ ذلك على الرغم من أن المعاهدات التي عقدت مع الدولة العثمانية لم تنص صراحة على مثل هذه الحماية، فإن الدولتين حاولتا تأكيد نفوذها على رعايا السلطان من غير المسلمين عن طريق توفير حماية خاصة لكل منهما، في نفس الوقت الذي ركزت فيه

مختلف الديانات والمذاهب المسيحية تنافسها في فلسطين للسيطرة على كل عمل يتصل بالبقاع المسيحية المقدسة [٣٩].

حصل بطريرك الأرثوذكس في القدس عام ١٨٤٣ على موافقة السلطات العثمانية على انفصاله عن بطريرك إسطنبول، وأخذ يقوي سلطته بمساعدة القيصر ودعمه، وعلى الجانب الفرنسي قامت الحكومة الفرنسية بمساعدة الكاثوليك وطالبت بامتيازات جديدة عام ١٨٥٠م، فتأزمت العلاقات بين فرنسا وروسيا القيصرية، وحاولت كل واحدة منهما الضغط على السلطان العثماني الذي سعى إلى الالتزام بالحياد وعدم إغضاب أي من الطرفين. ولكن، فيما بعد إستجاب السلطان للمطالب الفرنسية على الرغم من تهديد روسيا القيصرية للسلطان بقطع علاقتها الدبلوماسية معه إذا ما استسلم للضغط الفرنسي، وقرر في عام ١٨٥٢ إعطاء بعض الإمتيازات لرجال الدين الكاثوليك، أهمها تسليمهم المفاتيح الثلاثة الخاصة بالأبواب الرئيسية لكنيسة العذراء والسراديب الكائنة تحت كنيسة المهد في بيت لحم، فأدى هذا العمل بدوره إلى إستياء روسيا القيصرية، وعجل في دق طبول الحرب[٤٠].

وعليه كان العامل الديني هو السبب الرئيسي الذي دفع الأحداث الى الحرب في عام ١٨٥٣. حينما بدأت روسيا القيصرية في اتخاذ بعض التدابير التي تظهر رغبتها في خوض حرب جديدة ضد الدولة العثمانية، عبر تحشيد القطعات العسكرية على الحدود العثمانية بحجة أجراء مناورات تدريبية، كما تقرر إرسال مبعوثا للتفاوض مع السلطان العثماني بشان الحصول على فرمان يؤكد امتيازات الرعايا الأرثوذكس ويوطد مركز روسيا القيصرية في البقاع المسيحية المقدسة[٤١].

٢. السبب المباشر للحرب :

استعرضنا عبر حديثنا السابق عن الأسباب الغير مباشرة التي لعبت دورا في دفع روسيا القيصرية- دائما- إلى إعلان الحرب على الدولة العثمانية. ولكنها، أي تلك الأسباب ، قائمة منذ زمن طويل، وهي يعد من ثوابت السياسة الروسية تجاه العثمانيين. وعليه، فان روسيا القيصرية لابد من أن تختلق مشكلة آنية حتى تكون ذريعة لحربها التي تسعى الى تحقيقها.

حاول القيصر الروسي نيقولا الأول استغلال تضارب المصالح والروئ بين بريطانيا وفرنسا عبر هذه المرحلة، بالمقابل كانت بريطانيا هي الأخرى تحاول أن تثني القيصر الروسي عما يدور في رأسه من أحلام بخصوص إقتسام ممتلكات الدولة العثمانية. وفي هذا الإتجاه، سعى السفير البريطاني في سان بطرسبرك في مطلع عام ١٨٥٣ إلى تغير ما يدور في رأس القيصر من أحلام، ولكن من دون جدوى[٤٢]. وإنما على العكس كان نيقولا الأول مصرا على أن الرجل المريض يحتضر، ومن المنطقي التوصل إلى اتفاق بين الدولتين لإقتسام تركته دون السماح لفرنسا والنمسا التدخل في المسألة هذه[٤٣]. وعلى ما يبدو أن موقف القيصر الروسي مبني على أساس كسب بريطانيا إلى جانبه من ناحية، وإبعادها عن فرنسا من ناحية أخرى، مستغلا مخاوف بريطانيا من أن البديل في حالة فشل المسعى هذا هو فرض المطالب الروسية بالقوة المسلحة، وهو أمر مرفوض من قبل بريطانيا، أو حتى فرضه بقوة الدبلوماسية في معاهدة سرية، كما حدث في معاهدة اونكيار سكله سي[٤٤]، وهذا الحل هو الآخر غير مرغوب فيه من جانب بريطانيا.

من أجل تحقيق ما كان يخطط له، قرر القيصر نيقولا الأول إرسال بعثة دبلوماسية إلى السلطان العثماني، ترأس البعثة الروسية إلى إسطنبول وزير الدفاع الروسي ألكسندر منشكوف[٤٥]، بصفته سفيرا غير عادي للتفاوض في قضية الأماكن المقدسة[٤٦]. حاول القيصر الروسي عبر إرسال البعثة هذه، خداع، السلطان العثماني بعدم وجود أي مطامع روسية في ممتلكات الدولة العثمانية، وأن الهدف من حضورها هو البحث في قضية الأماكن المقدسة وحقوق الرعايا الأرثوذكس، إلا أن الأحداث كشفت فيما بعد، أن القصد من إرسالها لم يكن سوى إيجاد الذريعة لإعلان روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية تكون مقبولة لدى الدول الأوربية الكبرى[٤٧].

غادر المبعوث الروسي الكسندر منشكوف(Alexander Menshikov) مدينة سان بطرسبرك في يوم ١٠ شباط عام ١٨٥٣، مارا بأقاليم روسيا الجنوبية، قاصدا العاصمة العثمانية. وأثناء مروره

من هناك كان يتفقد القوات الروسية المرابطة بقرب الحدود العثمانية، في حالة من استعراض القوى وزرع الخوف في نفوس المسؤولين العثمانيين والضغط عليهم بما يحقق لروسيا القيصرية أهدافها من دون إجبارها على إستخدام القوة وما قد يرافق ذلك من نتائج غير معروفه[٤٨].

وصل المبعوث الروسي إلى إسطنبول في ٩ اذار ١٨٥٣ على متن سفينة حربية ومعه عدد كبير من الدبلوماسيين والعسكريين الروس[٤٩]، لاعتقاد القيصر الروسي أن ضخامة الوفد المفاوض سيحدث أثرا عميقا في نفوس العثمانيين، لم يتصف بالكياسة واللياقة في إنتزاع فرمان من الباب العالي لإرجاع الحالة في الأراضي المقدسة إلى ما كانت عليه قبل شهر شباط ١٨٥٢، والحصول على فرمان آخر يؤكد حقوق الرعايا الأرثوذكس وحماية روسيا القيصرية لهم، وفي حالة اعتراض فرنسا أو تهديدها للباب العالي، يمكن للدولة العثمانية أن تعقد مع روسيا القيصرية معاهدة دفاعية سرية[٥٠].

لقد أفرزت المفاوضات أن منشكوف كان رجلا متكبرا متغطرسا، يرمي قبل كل شيء إلى إذلال الوزراء العثمانيين، لدرجة أنه طلب من الصدر الأعظم طرد وزير الخارجية فؤاد أفندي من منصبه، وهو ما يعني إمتهانا واضحا للحكومة العثمانية، فضلا عن امتعاض بريطانيا وفرنسا، اللتان إعتبرتا ذلك صدمة عنيفة للسياسة الغربية ودليلا على أن الباب العالي خانع إلى جانب الروس، وأن مهمة منشكوف سوف تنتهي بفوز يفوق الفوز الذي سجله أرلوف في مفاوضاته في أونكيار سكله سي عام ١٨٣٣[٥١].

على اثر هذه المخاوف البريطانية الفرنسية اتخذتا بعض الإجراءات الاحترازية، بدأت بريطانيا تحركاتها الدبلوماسية، اذ طلب اللورد كلارندون، وزير خارجية بريطانيا، من السفير السير ستراتفورد دي رد كليف [٥٢]، أن يقطع إجازته في لندن و يعود فورا إلى مقر عمله في اسطنبول من أجل إحباط المفاوضات الروسية العثمانية بكل وسيلة ومهما كلفه الأمر. وعلى الجانب الآخر طلبت الحكومة الفرنسية من قائد أسطولها في البحر المتوسط أن يرسل بعض قطعاته إلى المياه الإقليمية العثمانية، وهكذا نشطت الدولتان من اجل عزل روسيا القيصرية بعد تأكدهما من الهدف الحقيقي لمهمة منشكوف، والمتمثل في تحويل قضية الأماكن المقدسة من خلاف مذهبي بين الكاثوليك والأرثوذكس إلى أزمة سياسية تستفيد منها الحكومة الروسية، وذلك إما بالقضاء على الدولة العثمانية، أو على الأقل كسب إمتيازات جديدة داخل الدولة العثمانية[٥٣].

وبينما كانت الحكومتان الفرنسية والبريطانية تتشاوران في الأمر، كان منشكوف يجمع حوله مساعديه وموظفي السفارة ويتدارس معهم نصوص مذكراته إلى الباب العالي، وفي يوم ١٦ مارس ١٨٥٣م سلم منشكوف السلطان العثماني مذكرة، واتبعها بأخرى في يوم ٢٢ مارس، طلب فيهما وبإلحاح شديد إنهاء مسالة الأراضي المقدسة، بحيث يضمن استمرار حقوق الأرثوذكس ويضع حدا لتصرفات الرهبان الكاثوليك، وسحب مفتاح كنيسة بيت لحم منهم، ووضع قبر السيدة العذراء في ذمة الروم وحدهم وإعطاء حرية ترميم قبة كنيسة القيامة. في المقابل، قام السفير البريطاني دي رد كليف بتشجيع الوزراء العثمانيين على الوقوف في وجه المطامع الروسية عبر رفض المطالب الروسية، مؤكدا لهم إن بريطانيا لن تتركهم وحدهم. وفي نفس الوقت، شرح الساسة البريطانيين للفرنسيين حقيقة أهداف البعثة الروسية، واقتنعوا بوجهة النظر البريطانية فيما يخص التساهل في مشكلة بيت المقدس وبيت لحم، لتضيع على الروس أي حجة تتذرع بها لتنقل الموضوع من خلاف مذهبي إلى مشكلة سياسية، وبناء على رغبة الحكومة البريطانية، وعملا بنصيحتها قبلت السلطات العثمانية القسم الأكبر من المطالب الروسية الواردة في المذكرتين الروسيتين. وأصدر السلطان في يوم ٤ مايس ١٨٥٣ فرمانا جديدا يحمل حلا للأزمة على الوجه الذي أراده مبعوث الحكومة الروسية، بعد أن وافق سفيري بريطانيا وفرنسا على ما ورد في الفرمان اعتقادا منهما أن ذلك سيفتح الباب في القريب لمطالب جديدة يتقدم بها منشكوف، فيكشف عن حقيقة مهمته وخفايا السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية[٥٤].

وفعلا جاءت التطورات مؤيدة لوجهة نظر بريطانيا، فبعد أن وافقت الحكومة العثمانية على مطالب منشكوف، قدم إلى الباب العالي مذكرة جديدة طلب فيها ضرورة إعلان استقلال الجبل

الأسود، وعزل حاكم صربيا الذي كانت روسيا القيصرية يعده خصما لسياستها في منطقة البلقان، وبعد مناقشة هذه المذكرة الجديدة مع سفير بريطانيا في اسطنبول، رد الباب العالي على مذكرة منشكوف بالقول، أن ما طلبه يعتبر تجاوز على مكانة السلطان وتدخلا صريحا في شؤون الدولة العثمانية، وخروجا عن مهمته التي انتهت بصدور فرمان في يوم ٤ مايس، كما اخبره فيه بان الباب العالي لن يقدم على أي تغيير للأوضاع الراهنة في منطقة البلقان، إلا بعد أخذ رأي الدول الأوربية الأخرى وموافقتها. شكل الرد العثماني صدمة لمنشكوف الذي أرسل بدوره إلى الباب العالي مشروع معاهدة في يوم ٥ مايس ١٨٥٣م على غرار معاهدة اونكيار سكله سي، وأرفقه بمذكرة تحمل صفة الإنذار، أكد فيها انه لايعتبر فرمان ٤ مايس كافيا، و طلب الاعتراف لروسيا بحق الأرثوذكس في حماية مطلقة غير مقيدة، وأعطى الحكومة العثمانية مهلة للرد على مذكرته تنتهي في يوم ١٠ مايس، يكون بعدها القيصر الروسي حرا في التصرف كما يشاء لتامين المصالح الروسية. واستند السلطان العثماني على تأييد كل من بريطانيا وفرنسا له في رفضه الموافقة على الطلب الروسي. واخبر رئيس الديوان منشكوف، قبل نهاية مدة الإنذار، أنه من غير الممكن أن يوافق السلطان على توقيع أي معاهدة تنال من استقلاله، وتحد من سلطته الشرعية على رعاياه، أما الروم الأرثوذكس فأكدوا أنهم يتمتعون في ظل السلطان بحرياتهم كاملة، و خاطبه بهذا الصدد يقول: "وإذا أردت دليلا على هذا فان التظاهرات الواسعة التي قام بها الأرثوذكس احتفاء بك يوم وصولك إلى الآستانة، بدون أن تمس حريتهم بأقل مساس أوضح الأدلة"[٥٥].

حدد الديوان السلطاني اليوم الثالث عشر من مايس موعدا لمقابلة منشكوف للسلطان، ولكن في يوم المقابلة توفيت والدة السلطان، فطلب الديوان من منشكوف تأجيل المقابلة إلى يوم آخر، ولكنه أصر على المقابلة في موعدها، فاستاء السلطان كثيرا وأصدر في الحال أمر بإقالة الصدر الأعظم ووزرائه جميعا، وإسناد الصدارة العظمى إلى رشيد باشا، وتألفت الحكومة من وزراء عرف عنهم عدائهم لروسيا القيصرية. وفي ١٧ مايس، ابلغ منشكوف قرارا من مجلس الوزراء الجديد برفض المطالب الروسية، ورد إنذار يوم ٥ مايس ١٨٥٣[٥٦]. وعلى اثر ذلك، قطعت العلاقات مع الدولة العثمانية، وغادر منشكوف، ومعه موظفي السفارة الروسية، العاصمة العثمانية على متن إحدى السفن الروسية في ١٨ مايس ١٨٥٣[٥٧]، لتدخل العلاقات بين الدولتين مرحلة جديدة ، وهي الحرب .

ثالثا: سير احداث الحرب:

١. الاحتلال الروسي لولايتي الدانوب:

على اثر فشل المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، نتيجة سياسة الغطرسة التي اتسمت بها الدبلوماسية الروسية إلى جانب الدعم البريطاني للسلطات العثمانية في مواجهة الضغوط الروسية، لم يبقى أمام القيصر الروسي إلا التحرك باتجاه مغاير، ووضع الدول الكبرى أمام الأمر الواقع. واقصد هنا فرض إرادتها بالقوة العسكرية. وفي يوم ٣١ مايس، بعث وزير الخارجية الروسي نسلرود، بتوجيه من القيصر الروسي، إنذارا إلى السلطات العثمانية، بان القوات الروسية ستحتل ولايتي الدانوب(ولاشيا ومولدافيا[٥٨] إذا لم تستجب الدولة العثمانية للمطالب الروسية كاملة عبر ثمانية أيام فان القوات الروسية ستحتل ولايتي الدانوب ليس من اجل إشعال الحرب بل من اجل أن يكون ضمانا ماديا على تنفيذ المطالب الروسية، سلم الإنذار للعثمانيين في ١٠ حزيران ١٨٥٣. بالمقابل فوضت الحكومة البريطانية سفيرها ردكليف باتخاذ التدابير اللازمة من اجل حماية الدولة العثمانية باستخدام القوة كوسيلة أخيرة لمواجهة التهديدات الروسية. وفي يوم ١٣ حزيران وصل الأسطول الحربي البريطاني إلى مدخل الدردنيل وانضم إلى الأسطول الفرنسي المتواجد هناك. وقد شجع ذلك، السلطان العثماني على مواجهة التهديدات العثمانية، إذ بعثت الحكومة العثمانية في يوم ١٦ حزيران إلى الحكومة الروسية بردها المتضمن رفض المطالب الروسية. وردت روسيا القيصرية على الرفض العثماني بإصدار الاوامر لقواتها المرابطة على الحدود العثمانية بمباشرة العمليات العسكرية[٥٩].

تقدمت القوات الروسية، المكونة من ٣٥ ألف جندي، نحو المناطق الحدودية للدولة العثمانية وإحتلت ولايتي الدانوب في يوم ٣ تموز عام ١٨٥٣ بعد عبورها نهر البروت الفاصل بين الدولتين، ولكن من دون إعلان الحرب على الدولة العثمانية[٦٠].

ولكن روسيا القيصرية أبلغت الدول الأوربية من أنها لن تدخل حربا شاملة ضد الدولة العثمانية، وأنها احتلت ولايتي الدانوب من أجل الضغط على الدولة العثمانية من اجل اعتراف الباب العالي بحقوق الأرثوذكس، وأنها ستنسحب فور صدور هذا الإعتراف. بالمقابل، احتجت السلطات العثمانية على الاحتلال الروسي، وأكدت في مذكرة الاحتجاج التي أرسلتها للدول الأوربية في ١٤ تموز ١٨٥٣ حقها كدولة ذات سيادة في أن تحل مشاكلها الداخلية بموجب قوانينها الخاصة[٦١].

كانت الدبلوماسية الروسية مقتنعة، نتيجة قراءاتها الخاطئة كما سنرى، من أن روسيا القيصرية ستبلغ أهدافها من وراء هذا الإجراء، أي احتلال ولايتي الدانوب، في أسرع وقت ممكن ومن دون أن يكون هناك ردود فعل دولية لتحركاتها العسكرية تلك. وجاءت قناعاتها تلك من إستحالة قيام أي تقارب بين بريطانيا وفرنسا في الوقت الحالي يفضي إلى قيام تحالف معادي لروسيا القيصرية بحكم التقارب الذي كان قائم بين روسيا وفرنسا. وأن النمسا وبروسيا لن تجازفا بروابطهما مع روسيا القيصرية على حساب الدفاع عن الدولة العثمانية[٦٢].

ولكن القراءة الروسية كانت خاطئة، فهذه بريطانيا وفرنسا، وهما الدولتين المعنيتين في الصراع، قامتا بإرسال أسطوليهما نحو المياه العثمانية أثناء المفاوضات التي جرت بين الروس والعثمانيين، وبعد احتلال القوات الروسية ولايتي الدانوب أعربتا عن احتجاجهما وصدرت الأوامر إلى أسطوليهما بعبور مضيق الدردنيل نحو مياه البحر الأسود[٦٣]. على الرغم من أن معاهدة المضائق[٦٤] تحظر عبور السفن الحربية في زمن السلم، لكن الحال تغير الآن، وأصبح السلطان العثماني يعتبر نفسه انه في حالة حرب مع روسيا القيصرية[٦٥]. واثار هذا الوضع حنق السلطات الروسية وجعلهم يتعنتون في مواقفهم ويرفضون أي حل سلمي للمشكلة القائمة[٦٦].

أما النمسا، فقد دعت إلى عقد مؤتمر دولي تحضره الدول الكبرى في فينا، على مستوى السفراء، في شهر أيلول ١٨٥٣، وتم مناقشة مسالة احترام الطرفين للعهود والمواثيق التي تربط بينهما بخصوص أبناء الطائفة الأرثوذكسية[٦٧]. وهناك وضعت مذكرة ترك فيها أمر حماية المسيحيين الأرثوذكس غامضا، بحيث تستطيع كل من روسيا القيصرية والدولة العثمانية تفسيره طبقا لمصلحتها. ولكن الدولة العثمانية، وبدعم كل من بريطانيا وفرنسا، أصرت على ألا توضع حقوقها موضع الشك، بالمقابل أعلنت روسيا القيصرية تمسكها بمطالبها التي أعلنت عنها من قبل. ونتيجة ذلك فشل المؤتمر في تحقيق الهدف المرجو منه في وضع حلا للازمة[٦٨]. وأخذت الأمور تتجه نحو المواجهة المسلحة.

٢. إعلان الدولة العثمانية الحرب على روسيا القيصرية:

بعد فشل الجهود الدبلوماسية والضغوط البريطانية الفرنسية العسكرية، بدأت الأمور تسير نحو الحرب. وفي يوم ٦ تشرين الأول ١٨٥٣ وجه السلطان العثماني عبد المجيد إنذارا إلى روسيا القيصرية يطلب منها سحب قواتها من الأراضي العثمانية عبر خمسة عشر يوما، وإلا سوف تعلن الدولة العثمانية الحرب عليها[٦٩]. وحينما رفضت روسيا القيصرية الانسحاب من ولايتي الدانوب، أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا القيصرية في يوم ٩ تشرين الأول من العام ذاته[٧٠]. لتبدأ عنذاك حرب القرم، التي شغلت مكانا فريدا في تاريخ أوربا عبر القرن التاسع عشر الميلادي.

شنت القوات العثمانية هجومها على القوات الروسية على جبهتين، الأولى كانت على أرض ولايتي الدانوب والأخرى في منطقة القوقاز. ففي الجبهة الأولى باشرت المدفعية قصفها في يوم ٢٣ تشرين الاول من عام ١٨٥٣م[٧١]، ثم أعقب ذلك في يوم ٢ تشرين الثاني عبور القوات العثمانية بقيادة عمر باشا، القائد الأعلى للجيوش العثمانية، نهر الدانوب، وجرت على ارض تلك الولايتين معارك عنيفة بين الطرفين، تمكنت على أثرها القوات العثمانية من إجبار القوات الروسية على التقهقر عن الضفة اليسرى للنهر. ولكن بسبب الصعوبات المناخية التي سادت جبهات القتال، تساقط الثلوج والبرد القارص، انسحب عمر باشا الى الضفة اليمنى ولم يقرر ملاحقة القوات الروسية

المنسحبة[٧٢]. ولكن، حينما حاول الجيش الروسي استعادة مواقعه التي خسرها في المعارك السابقة فشل في تحقيق ذلك. إذ جرت معركة بين الطرفين في سهل جاتانا القريب من كالافات في يوم ١٥ كانون الثاني ١٨٥٤ انتهت بتراجع القوات الروسية بعد هجوم دام خمسة أيام. وقد أجبرت الهزيمة هذه القيصر نيقولا الأول على عزل قائد الجيش غورجاكوف من منصبه[٧٣].

أما في جبهة القوقاز، فقد تمكنت القوات العثمانية بقيادة عبد الكريم عبده باشا، وبمساعدة الزعيم الشيشاني الشيخ شامل، من تحقيق بعض الانتصارات على الروس في إقليم قارص فيما وراء القوقاز، إذ تمكنوا من الاستيلاء على قلعة سان نيقولا الإستراتيجية[٧٤].

على اثر بدء العمليات العسكرية البرية بين الطرفين، وما آلت إليه من تفوق لصالح العثمانيين على حساب القوات الروسية، قام الأسطول الروسي في البحر الأسود بشن هجوم مفاجئ وسريع على القاعدة البحرية العثمانية في سينوب، وتمكن من تدمير الأسطول العثماني الراسي هناك والتحصينات العسكرية أيضا، وذلك في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٨٥٣. وقد اثار الهجوم الروسي القلق لدى البريطانيين والفرنسيين[٧٥]. ويشير الكاتب يلماز اوزتونا الى أن العثمانيين هم الذين أغروا الروس للهجوم على الأسطول العثماني في سينوب، الذي لم يكن سوى بعض القطعات الخردة، بهدف القضاء على التردد البريطاني الفرنسي بخصوص دخولهما الحرب الى جانبها. ويؤكد على صحة التحليل الذي ذهب إليه إشارته إلى موقف الصحافة في بريطانيا وفرنسا وتحذيرها من الخطر الروسي المتزايد في البحر الأسود ومدى تأثير ذلك على مصالح الدولتين في المنطقة عموما[٧٦]. وبذلك تمكنت الصحافة من تهيئة الرأي العام، لاسيما في بريطانيا، فقد تناغم موقف الرأي العام البريطاني في هذا مع السياسة البريطانية الخارجية القائمة على أساس الوقوف في وجه أي تهديد للمصالح البريطانية في الشرق، مثلما تحاول روسيا القيصرية ذلك[٧٧]. وهو الأمر الذي أفضى فيما بعد الى تحول الحرب الروسية العثمانية الى حرب أوربية على نطاق واسع.

أثار الهجوم الروسي على قاعدة سينوب[٧٨] فعلا قلق كل من بريطانيا وفرنسا، وشهدت العاصمتين لندن وباريس تحركات دبلوماسية بعد وصول الاخبار اليهما بخصوص الهجوم الروسي على سينوب. واستدعى نابليون الثالث(١٨٥٢-١٨٧٠) السفير البريطاني في باريس في أواسط شهر كانون الاول عام ١٨٥٣، واخبره عن نيته في إرسال الأسطول الفرنسي الى البحر الأسود من جديد للحد من التجاوزات الروسية هناك. وبعد إبلاغ السفير البريطاني حكومته بالرغبة الفرنسية، أعلنت بريطانيا تأييدها للموقف الفرنسي. وفي يوم ٤ كانون الثاني ١٨٥٤ عبر الأسطولين البريطاني والفرنسي مضيق البوسفور من جديد نحو مياه البحر الأسود. وابلغ قائدي الأسطولين السلطات الروسية بأن حكومتيهما قد أسندت لهما حماية السفن والموانئ العثمانية من أي اعتداء روسي[٧٩]. ولابد من الإشارة هنا، إلى أن الموقف البريطاني الفرنسي لم يكن دعما وتعزيزا للموقف العسكري العثماني عبر صراعه مع القوات الروسية وإنما خوفا من تطورات ذلك وانعكاساته على مصالحهما ونفوذهما في الممتلكات العثمانية.

في هذه الإثناء، أرادت النمسا استباق الأحداث، ومنع وقوع الحرب بين الدول الثلاث(بريطانيا، فرنسا وروسيا القيصرية) الأمر الذي قد يتطلب منها موقفا أكثر وضوحا، وهذا قد يودي بها الى خسارة أحد الطرفين. فدعا المستشار النمساوي الى عقد اجتماع لسفراء الدول الأوربية الكبرى في يوم ١٣ كانون الثاني ١٨٥٤ في العاصمة النمساوية فينا. وجرى مناقشة الأزمة القائمة بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، وتم التوصل إلى وضع مسودة بروتوكول نص على مايلي[٨٠]:

أ- بقاء المعاهدات المعقودة بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية سارية المفعول لحين الاتفاق على حل المشاكل القائمة بين الدولتين.

ب- منح المسيحيين من رعايا الدولة العثمانية امتيازات جديدة، ويقوم السلطان العثماني بإصدار تشريع إصلاحي بخصوص أوضاعهم في الدولة.

ج- تجديد معاهدة المضائق المعقودة في عام ١٨٤١.

لكن روسيا القيصرية رفضت الموافقة على البروتوكول، وعلى مايبدو أن السبب هو التهديدات البريطانية والفرنسية، المتمثلة في تواجد أسطوليهما في البحر الأسود[٨١]. وعلى اثر ذلك، قام نابليون الثالث بإرسال برقية الى القيصر الروسي بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٨٥٤، يشرح له خطورة الموقف وأثر الإصرار الروسي على رفض التسوية الدبلوماسية. وعرض عليه عقد مؤتمر دولي جديد من أجل حل الأزمة شرط إنسحاب القوات الروسية من ولايتي الدانوب، وتعهد بسحب أسطوله والأسطول البريطاني من البحر الأسود كتعبير عن حسن النوايا في حال التزام روسيا القيصرية بسحب قواتها من ولايتي الدانوب. ولكن الرد الروسي لم يكن بالرغبة التي تدفع إلى حل الأمور بالطرق الدبلوماسية، والدليل على ذلك، صدور التعليمات إلى السفراء الروس في باريس ولندن بالعودة إلى بطرسبورك[٨٢].

ومما سبق، نرى بان الإصرار الروسي كان واضحا في السير قدما في الحرب وتحقيق القيصر الروسي نيقولا الأول لما يريد بالقوة المسلحة، وان الحضور لبعض المؤتمرات وتبادل الرسائل لم يكن إلا استغلالا للوقت والظروف من أجل الانفراد بالدولة العثمانية. وعلى مايبدو أن كل من فرنسا وبريطانيا قد اكتشفتا ذلك، الأمر الذي سيدفعهما الى أن يكونا طرف في الحرب الى جانب الدولة العثمانية.

٣. دخول بريطانيا وفرنسا الحرب:

دبلوماسية الحرب:

اتخذت كل من بريطانيا وفرنسا بعض الإجراءات الدبلوماسية بهدف الدخول الى الحرب بأقل خسائر ممكنة. وبدأتا سلسلة من الاتصالات الدبلوماسية مع الدولة العثمانية ومع الدول الأوربية الكبرى، النمسا وبروسيا، لضمان عدم وقوفهما الى جانب روسيا القيصرية في حالة دخولهما الحرب ضدها، فضلا عن عزلها أوربيا. وكانت أولى الخطوات الدبلوماسية نحو الحرب، التوقيع على تحالف مع الدولة العثمانية في يوم ١٢ اذار ١٨٥٤، عرفت باسم معاهدة اسطنبول ومن أهم ماورد فيها[٨٣]:

أ. تتحمل القوات البريطانية والفرنسية مسؤولية الدفاع عن الدولة العثمانية عند الحاجة.

ب. تتعهد الدول المتعاقدة(بريطانيا، فرنسا،الدولة العثمانية) بإبلاغ بعضها البعض عن أية اتصالات تقيمها مع روسيا القيصرية.

ج. تتمتع القوات البريطانية والفرنسية بحرية الحركة عند ممارستها للعمليات العسكرية،وعلى السلطات العثمانية تقديم كافة أنواع التسهيلات لهذه القوات.

د. عدم قيام الدولة العثمانية بأي نشاط عسكري من دون علم القيادة البريطانية الفرنسية بشكل مسبق.

وعلى اثر ذلك أرسلت كل من بريطانيا وفرنسا الى روسيا القيصرية إنذارا يدعوها إلى الانسحاب من ولايتي الدانوب في مهلة أقصاها في يوم ٣٠ نيسان عام ١٨٥٤. وحينما رفضت روسيا الإنذار، أعلنت الحرب على روسيا القيصرية من قبل الدولتين في يوم ٢٧ اذار[٨٤]. وبعد اقل من أسبوعين اجتمعت الدولتان في لندن وناقشتا مستقبل الدولة العثمانية، وجرى الاتفاق بينهما في العاشر من شهر نيسان عام ١٨٥٤، على عقد معاهدة عرفت باسم (معاهدة لندن)، نصت على المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية، والوقوف في وجه مخططات روسيا القيصرية الساعية إلى تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية. والعمل على استخدام شتى السبل للحيلولة دون تحقيق ذلك بما فيها القوة العسكرية إلى جانب تقديم الدعم والمساعدة المعنوية والعسكرية للدولة العثمانية[٨٥]. ومن النقاط التي جرى الاتفاق عليها في هذه المعاهدة السماح لبقية الدول الأوربية الأخرى بحق الانضمام إليها[٨٦]. وقد بذلتا وفقا لذلك جهودهما من اجل اجتذاب بقية الدول الأوربية الكبرى الأخرى إلى جانبها، وحرمان روسيا القيصرية من فرصة التأثير على تلك الدولة وكسبها إلى جانبها أن استطاعت او بجعلها على الحياد على أسوء تقدير[٨٧].

اتجهت كل من بريطانيا وفرنسا نحو بقية الدول الأوربية الكبرى، مثل النمسا وبروسيا، من أجل إقناعهما بالتحالف معهما ضد روسيا القيصرية. لكنهما لم تكونا متحمستان للانضمام، لأسباب سياسية وإستراتيجية، إلى التحالف البريطاني – الفرنسي ضد روسيا القيصرية. بالرغم من أن النمسا كانت ترى ضرورة التحالف مع فرنسا وبريطانيا لتأمين مصالحها في مصب نهر الدانوب، إلا أن القادة العسكريين في النمسا رأوا أن النمسا سوف تكون الدولة المتحالفة الوحيدة التي سيقع عليها عب القتال الفعلي بحكم موقعها الجغرافي، ومن ناحية أخرى، فان الإقدام على الدخول في هذا التحالف لن يكون مأمون العواقب بغير إقحام بروسيا في نفس التحالف، لكي لا تنتهز الأخيرة فرصة انشغال الأولى وتهاجمها في ممتلكاتها الألمانية. لذلك كان من الضروري تأمين جانب بروسيا أولا[٨٨].

بالمقابل كانت بروسيا تحاول إقناع النمسا الوقوف على الحياد من الأزمة، لكي لاتجر إلى حرب لن تفيدها من قريب أو بعيد. وقد حاولت عدم التسرع في اتخاذ أي موقف قد يضعها في موقف لاتحسد عليه. وبناءا على ذلك، نجحت بالتوصل الى توقيع اتفاق مع النمسا، أعلنتا بموجبه وقوفهما على الحياد في الحرب الدائرة بين الطرفين، وفي ذات الوقت التزامهما بالدفاع عن بعضهما البعض في حالة مهاجمة إي دولة أخرى لأراضي احدهما في ٢٠ افريل من عام ١٨٥٤م[٨٩].

على الرغم من عدم موافقة النمسا على الدخول في تحالف مع بريطانيا وفرنسا، إلا أنها تحركت دبلوماسيا للضغط على روسيا القيصرية، على إثر عبورها نهر الدانوب، ففي يوم ٢ حزيران ١٨٥٤ أرسلت الى القيصر نيقولا الأول مذكرة احتجاج على عبور القوات الروسية لنهر الدانوب، واعتبرته عملا عدائيا لا يمكن السكوت عليه، وطالبت بعودة القوات الروسية السابقة فورا والا فإنها ستضطر الى استعمال القوة لإخراجهم من البلقان[٩٠]. ومن اجل إقناع الروس بجدية تهديدها، حركت قواتها باتجاه حدودها المتاخمة للبلقان، وبذلك أصبحت القوات النمساوية تهدد خطوط إمداد الجيش الروسي[٩١]. وبناءا على هذا الموقف النمساوي، ونتيجة تأخر القوات الروسية في تحقيق أهدافها من الهجوم، وخوفا من انضمام النمسا الى جانب بريطانيا وفرنسا [٩٢]. قرر نيقولا الأول الانسحاب من ولايتي الدانوب الى ماوراء نهر البروت في أواخر شهر تموز عام ١٨٥٤[٩٣].

ساهم هذا التحرك من جانب النمسا في حدوث تقارب بينها وبين بريطانيا وفرنسا، وأسفر هذا التقارب في يوم ٨ آب ١٨٥٤ عن وضع نقاط تفاهم، عرفت باسم(مذكرة الضمانات الأربعة)، والتي أصبحت فيما بعد أساس دبلوماسية حرب القرم. وخلاصتها أن أي سلام لايمكن أن يقوم بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية من دون الاعتماد على الأسس الأربعة التالية[٩٤]:

أ. وضع ضمان أوربي لولايتي الدانوب محل حماية روسيا القيصرية لهما.
ب. حرية الملاحة في نهر الدانوب .
ج. اعادة النظر في معاهدة المضائق عام ١٨٤١ لصالح توازن القوى في أوربا.
د. تخلي الروس عن المطالبة بحماية الأرثوذكس في الدولة العثمانية، على أن يعد السلطان العثماني بتحسين أحوالهم.

وتعزز دور النمسا بشكل أكبر في الأحداث، حينما وافقت كل من بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية على السماح للنمسا بإرسال قواتها الى ولايتي الدانوب وشغل الفراغ الذي أحدثه انسحاب القوات الروسية منهما، وذلك من أجل الدفاع عنها في حالة تفكير الروس في معاودة الكره من جديد. وعلى إثر هذه التطورات، إزداد تردد النمسا في الدخول كطرف مباشر في حرب ضد روسيا القيصرية، إذ أصبح ليس من مصلحتها المشاركة في الحرب لاتعنيها مادام أنها نجحت في ضمان أمنها ومصالحها في المنطقة[٩٥].

الإجراءات العسكرية:

بعد فشل النشاط الدبلوماسي في إيجاد حل للأزمة بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، واقتناع الانكليز والفرنسيين بسوء النوايا الروسية، أخذ المؤشرات كلها تشير الى قيام الانكليز والفرنسيين بوضع اللمسات الأخيرة لإعلانهما الحرب على روسيا القيصرية. والدليل على ذلك قيام كل من بريطانيا وفرنسا بإرسال التعزيزات العسكرية ودراسة احتمالات سير الحرب وكيفية الدفاع عن العاصمة اسطنبول والمضائق وغيرها من الأمور[٩٦]. وهذا يدل على أن الدولتين لم يكن هدفهما

دخول الحرب من اجل إعادة ولايتي الدانوب الى الدولة العثمانية، وإنما شاغلهما الأكبر عدم السماح بسقوط العاصمة العثمانية اسطنبول والمضائق العثمانية بأيدي روسيا القيصرية بما يمكنها من الوصول الى المياه الدافئة[٩٧].

أول خطوة إتخذها البريطانيون والفرنسيون لخوض الحرب توجيه إنذار الى روسيا القيصرية بالانسحاب من ولايتي الدانوب، وذلك في شهر اذار ١٨٥٤م. وحينما لم تستجب إلى الإنذار أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على روسيا القيصرية في يوم ٢٧ اذار ١٨٥٤[٩٨].

بعد إعلان الحرب من طرف بريطانيا وفرنسا على روسيا القيصرية، باشر الأسطولين البريطاني والفرنسي بمهاجمة القواعد البحرية الروسية في البحر الأسود. إذ تم مهاجمة القاعدة البحرية في ميناء أوديسا واستولوا على ١٣ سفينة في يوم ٢٢ نيسان ١٨٥٤، ثم تقدمت نحو القاعدة البحرية في سيباستيبول، في شبه جزيرة القرم، الى جانب عدد من الحصون والقلاع الروسية المنتشرة على البحر الأسود[٩٩].

على إثر هجوم الأسطولين البريطاني والفرنسي، أعلنت روسيا القيصرية الحرب على الانكليز والفرنسيين في يوم ١١ نيسان ١٨٥٤. وصدرت الأوامر إلى القوات البرية الروسية بقيادة بسكيدفتش بعبور نهر الدانوب لمهاجمة القوات العثمانية من اجل تشتيت تركيز القوات المتحالفة ضدها، ونجحت القوات الروسية في محاصرة مدينة سلستريا الإستراتيجية[١٠٠]. على أمل السيطرة عليها، واتخاذها قاعدة للانطلاق نحو منطقة البلقان، ومنها شق الطريق نحو العاصمة اسطنبول[١٠١]. ومن اجل وقف التقدم الروسي وفك الحصار عن مدينة سلستريا، نزلت قوات الحلفاء بالقرب من مدينة فارنا، في بلغاريا حاليا. ولكن مع استبسال الحامية العثمانية وانتشار الكوليرا بين صفوف القوات الروسية ونقص الإمدادات والمؤن، ووصول أنباء تقدم القوات الحليفة نحو سلستريا. قرر الروس الانسحاب وفك الحصار عن المدينة بعد حصار دام خمسة وثلاثين يوما، من يوم ١٥ مايس الى ٢٠ حزيران ١٨٥٤م[١٠٢]، وقد تكبدت القوات الروسية التي بلغ تعدادها قرابة ٦٠ إلف جندي خسائر كبيرة قدرت بـ ١٥ ألف قتيل وقرابة ٢٥ ألف جريح، كان من بينهم عدد من كبار قادة الجيش الروسي[١٠٣].

وجدت روسيا القيصرية انه لا قبل لها بالقتال على أكثر من جبهة في آن واحد، وأن تقدمها نحو البلقان بغية الوصول إلى العاصمة العثمانية والسيطرة عليها، قد يودي بها الى الاصطدام مع النمسا في منطقة البلقان، والذي تعده مجالا حيويا لها. وفي ذات الوقت، كان الأسطولان البريطاني والفرنسي يقومان باستعراض للقوة في البحر الأسود ويهاجم القواعد البحرية الروسية[١٠٤]. ومن اجل تخفيف الضغط عليها، حاولت روسيا القيصرية إقناع النمسا بالتحالف معها، ولكن الأخيرة أبدت اعتذارها للمطلب الروسي، ونصح الإمبراطور النمساوي المبعوث الروسي بضرورة الانسحاب من ولايتي الدانوب. ولم يقتصر الموقف النمساوي على محاولة اقناع الروس دبلوماسيا، وإنما حركت قواتها الى إقليم ترانسلفانيا، وهي رسالة أرادت عبرها النمسا إيصالها الى الروس تخيرهم بين الانسحاب أو دخولها طرفا في الحرب الى جانب بريطانيا وفرنسا[١٠٥].

إزاء الرفض النمساوي، حاولت روسيا القيصرية مع بروسيا من اجل اقناعها بالوقوف إلى جانبها، ولكن بروسيا كانت قد أعلنت الحياد، فضلا عن تعرضها لضغوط بريطانية وفرنسية من اجل اتخاذ موقف معادي لروسيا القيصرية. وتأكد لبروسيا خطورة المجازفة باتخاذ أي موقف مؤيد لروسيا القيصرية على إثر وصول الأنباء عن الإنزال الذي قامت به القوات البريطانية والفرنسية في منطقة فارنا. وحينها طلبت بروسيا، هي الاخرى، من الروس الانسحاب من ولايتي الدانوب من أجل إنهاء الأزمة[١٠٦].

بعد فشل الحصار الروسي على مدينة سلستريا، فضلا عن تخوفهم من احتمال قيام القوات النمساوية بمهاجمة القوات الروسية هناك، اصدر القيصر الروسي نيقولا الأول أوامره بالانسحاب من ولايتي الدانوب، وعلى اثر الفراغ الذي أحدثه انسحاب الروس من هناك أرسلت النمسا قواتها وسيطرت عليهما، ريثما يتم الصلح ويتم إعادتهما الى الدولة العثمانية[١٠٧]. وتم هذا بناءاً على اتفاق تم بين كل من بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية مع النمسا في يوم ١٤ حزيران ١٨٥٤، إذ خول لها

السيطرة عليها مؤقتاً شرط منع القوات الروسية من العبور في حالة تفكيرها إعادة الكره من اجل الزحف الى العاصمة العثمانية من جديد[١٠٨].

وعلى ما يبدو، أن هذه الخطوة من جانب القيصر الروسي كانت تهدف الى قطع الطريق على النمسا من اجل الانضمام الى التحالف المعادي لها، فضلا عن رغبته في استدراج القوات المتحالفة نحو العمق الروسي الصعب بظروفه المناخية لينزل بهم نفس ما انزل بالجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت[١٠٩] عام ١٨١٢. ولكن على ما يبدو أن كل من بريطانيا وفرنسا قد تنبهتا الى ذلك وقررتا مهاجمة نقاط التمركز الروسي على البحر الأسود، أي شبة جزيرة القرم[١١٠].

عندما انسحبت روسيا القيصرية من ولايتي الدانوب أصبحت بريطانيا وفرنسا في حيرة من أمرهما، فقد انتهى الاحتلال الروسي للأراضي العثمانية وهو السبب الذي جعلهما يعلنان الحرب على روسيا القيصرية. ولكن خطة الحرب تغيرت من الدفاع عن ممتلكات الدولة العثمانية الى تأديب روسيا، وتقليم مخالب الدب الروسي، وإبعاده عن أي نشاط مؤثر في منطقة البحر الأسود، والقضاء على محاولاتها المتكررة للسيطرة على المضائق العثمانية[١١١]. وعندها تدخل الحرب مرحلة جديدة من العمليات، أي مهاجمة روسيا القيصرية في عقر دارها.

ثالثا: الانهيار الروسي في الحرب

تغيرت الإستراتيجية العسكرية البريطانية، ومعها فرنسا بتردد، من إبعاد الخطر الروسي عن الأراضي العثمانية إلى العمل على مهاجمة الروس في عقر دارهم من اجل اضعافها بحيث لا تكون قادرة على إعادة الكره من جديد في القريب العاجل. وهنا ينتقد الكاتب الانكليزي فيشر قرار الحلفاء بإستمرار العمليات العسكرية بعد إنسحاب الروس من ولايتي الدانوب، حيث كتب يقول:" لم يكن ثمة أي سبب معقول لان يضيع الحلفاء جنديا واحدا، او يبددوا جنيها واحدا على حصار سيباستيبول. فانه حتى إذا كتب الفوز للحلفاء وفتحوها، لم يكن ذلك ليؤثر تأثيرا محسوسا في موارد روسيا الضخمة"[١١٢].

١. إختيار شبة جزيرة القرم مسرحا للحرب:

حين وقع الإختيار على شبة جزيرة القرم، وتحديدا قاعدة سيباستيبول البحرية، لكي تكون هدف الحملة القادم لم يكن إعتباطا، وإنما كان الغرض منه تدمير القدرات البحرية التي تمكن روسيا القيصرية فيما بعد من التحرك في منطقة البحر الأسود وتهديد مصالح بريطانيا وفرنسا. إذ كانت تتركز جل القدرات البحرية الروسية في تلك المنطقة، وتحديدا في قاعدة سيباستيبول[١١٣]، نظرا لموقعها الإستراتيجي المهم في البحر الأسود[١١٤].

وعلى ما يبدو أن اختيار شبة جزيرة القرم كهدف قادم للحملة العسكرية كان يرجع الى تخوف القادة الإنكليز والفرنسيين من التقدم في العمق الروسي حتى العاصمة الروسية، وذلك لصعوبات اللوجستية التي ستضع قوات الحملة بين فكي كماشة قد تودي بها الى نهاية مأساوية. من جهة كان الانكليز والفرنسيون يعلمون أن مقاتلة الروس على أرضهم مغامرة لا يتمناها أي قائد عسكري، لأنها ستوفر للروس فرصة المناورة والتحرك السريع لاطلاعهم ومعرفتهم بتضاريس الأرض التي تتحركوا عليها. ومن جهة أخرى، فان الأجواء المناخية القاسية التي تتصف بها روسيا القيصرية عبر موسم الشتاء، بانخفاض معدلات درجات الحرارة فيها الى مادون الصفر المئوي، قد تعرض القوات المتحالفة الى مخاطر ومهالك كثيرة، لاسيما وان خطوط الإمدادات ستطول في وسط مناطق معادية لهم الأمر الذي قد يسهم في إفشال الحملة، وعلى مايبدو أن تجربة نابليون بونابرت[١١٥] كانت ماثلة امامهم، لاسيما الفرنسيين منهم. وعليه تقرر إختيار شبة جزيرة القرم، لموقعها البحري مما يعني إمكانية استخدام القوة البحرية في دعم العمليات البرية، فضلا عن قصر خطوط الإمداد. ولكن الملاحظ، أن القوات المتحالفة كانت تجهل أي معلومات عن المنطقة، وجرت مناقشات بين القادة الميدانين وعلى إثرها تقرر أن يتركز الجهد العسكري على قاعدة سيباستيبول البحرية لأهميتها الإستراتيجية بالنسبة للروس[١١٦].

٢. بدء العمليات في القرم:

أقلعت القوات المتحالفة من مدينة فارنا في يوم ٧ ايلول ١٨٥٤م، وهي تتألف من ٥٧ ألف جندي، ٢٤ ألف جندي فرنسي و٢٢ ألف جندي بريطاني بالإضافة الى سبعة آلاف جندي عثماني، برفقة أسطول حربي يتألف من ١٥ سفينة فرنسية و١٠ سفن بريطانية و٩ سفن عثمانية[١١٧]. وأختير ميناء ايباتوريا نقطة النزول على سواحل القرم، وهي تقع إلى الشمال من قاعدة سيباستيبول، التي استسلمت حاميتها من دون مقاومة[١١٨].

بدأت قوات الحلفاء تحركها من ايباتوريا نحو سيباستيبول في يوم ١٩ ايلول، تحركت القوات الفرنسية على محور موازي لساحل البحر، فيما تحرك البريطانيون على المحور الداخلي[١١٩]. وفي يوم ٣ ايلول اصطدمت القوات الفرنسية بالقوات الروسية، وتمكنت من الانتصار عليها في معركة آلما، وتمكنت من السيطرة على المرتفعات المطلة على نهر آلما، ولكنها دفعت ثمنا غاليا بالأرواح والمعدات. وأرسل قائد القوات الفرنسية الجنرال سانت ارنو الى باريس يطلب الإسراع بإرسال تعزيزات عسكرية[١٢٠].

لكن القوات المتحالفة لم تستغل تقهقر القوات الروسية نحو سيباستيبول وملاحقتها الى هناك[١٢١]، الأمر الذي مكن القوات الروسية من استغلال بطء تقدمها ليتموا إستحكامات المدينة بسرعة. مما جعلها تقاوم الحصار الذي فرض عليها في شهر ايلول ١٨٥٤ لمدة عام كامل[١٢٢].

بعد أكثر من شهر بقليل، أحكمت القوات المتحالفة حصارها على سيباستيبول، لكن المشكلة التي واجهتهم تراجع دور الأساطيل البحرية في المساهمة في تشديد الحصار على المدينة وإجبارها على الاستسلام بأسرع وقت ممكن. وذلك يرجع الى صعوبة تقدمها نحو الميناء بسبب إغراق الأسطول الروسي عند مدخل الميناء مما جعل نيران مدفعيته خارج نطاق التأثير بالقوات المحاصرة. وجرت معارك طاحنة بين الفريقين عبر شهري تشرين الاول وتشرين الثاني من عام ١٨٥٤، لكنها من دون نتيجة حاسمة على الرغم تفوق القوات المتحالفة[١٢٣]. وعبر فترة الحصار كانت التعزيزات العسكرية متواصلة لقوات الحلفاء حتى بلغت في مطلع عام ١٨٥٥م قرابة ٢٠٢ الف جندي[١٢٤]، كما انضمت مملكة سردينيا الى الدول المتحالفة في يوم ١٥ اذار، وأرسلت قوات عسكرية بلغ عددها ١٦ الف جندي[١٢٥]. ولابد من الإشارة هنا، بان أكثر ما عانت منه القوات المتحالفة عبر الحصار الذي فرض على مدينة سيباستيبول أن قادة الانكليز والفرنسيين لم يكونوا بمستوى الحدث من حيث الخبرة العسكرية، وكان طبيعيا أن تشهد الحملة العسكرية تلكؤ وإرباك كبيرين، وكثيرا ما فسح المجال أمام الروس في مقاومة الحصار لفترة أطول مما كان متوقع [١٢٦].

بمرور الوقت أخذت القوات المتحالفة تضيق الحصار على القوات الروسية داخل سيباستيبول. إذ كانت هناك بعض الثغرات التي تمر عبرها الإمدادات للمدينة، إلى جانب الظروف المناخية السيئة وانتشار وباء الكوليرا سببا في تأخر إحكام الحلفاء سيطرتهم على المدينة[١٢٧]. وقرر الحلفاء القيام بالهجوم النهائي في شهر آوت من عام ١٨٥٥. وبدأ الهجوم بقصف مدفعي على المدينة استمر عدة أيام، وبلغ عدد المدافع التي شاركت في الهجوم هذا قرابة ٨٠٠ مدفع. وفي يوم ١٦ آب شنت قوات الحلفاء هجومها على المدينة وبعد معركة عنيفة تمكنوا من دخول المدينة في اليوم التالي. وبذلك سقطت سيباستيبول بعد مقاومة دامت قرابة عام. وبلغت خسائر الروس في هذه المعركة ١٣٥٠٠ قتيل، في حين كانت خسائر الحلفاء ١٢٣٤٠ قتيل. وعلى إثر ذلك تنتهي المعارك في القرم لصالح القوات المتحالفة[١٢٨].

وبعد سقوط سيباستيبول، وهي أهم المدن الموجودة في شبة جزيرة القرم، توالى سقوط بقية المدن الروسية هناك، واستمر تقهقر القوات الروسية نحو العمق الروسي[١٢٩]. ولولا حلول موسم الشتاء لتمكن الحلفاء من الاستيلاء على مدينة كييف الروسية، بعد احتلال مدينة كلبرون في ١٤ تشرين الاول ١٨٥٥[١٣٠].

ومن اجل تخفيف الضغط على قواتها في القرم عبر جذب انتباه الحلفاء الى جبهة قتال أخرى، قامت القوات الروسية بشن هجوم على القوات العثمانية في قارص. وتمكن الجيش العثماني، إثناء تقدمه لنجدة قارص، من تحقيق بعض الانتصارات في أول الأمر على القوات الروسية كما هو الحال في معركة انجر في يوم ٦ تشرين الثاني ١٨٥٥، في ذات الوقت كان الزعيم الشيشاني الشيخ

شامل يقدم خدمات جليلة للعثمانيين في المنطقة حينما كان يشاغل الروس في منطقة داغستان. ولكن الجيش العثماني وصل متأخرا حيث سقطت قارص بأيدي الروس بعد مقاومة دامت قرابة خمسة أشهر(١٣١).

لم يكن سقوط مدينة سيباستيبول بأيدي الحلفاء نهاية الحرب، إذ لاحظنا أن الروس أصروا على مواصلة الحرب، وتمكنوا من تحقيق بعض الانتصارات في قارص. ولكن النصر الروسي لم يغير من مجرى الحرب، فقد إنتاب الروس الإرهاق والملل، وصاروا أكثر رغبة الى التفاوض منه الى الحرب(١٣٢).

٣. إستسلام روسيا القيصرية:

لابد أن نعلم بان المساعي الدبلوماسية لم تتوقف عبر سنوات الحرب، إلا أنها كانت بين شد وجذب. وخير دليل على ذلك النشاط الذي كانت تقوم به النمسا عبر فترة الحصار المفروض على سيباستيبول، وتحديدا عبر فترة الشتاء. لاسيما بعد وفاة القيصر نيقولا الأول في ٢ اذار ١٨٥٥ ومجئ الكسندر الثاني بدلا منه. إذ عقد مؤتمر في العاصمة النمساوية فيينا، ووافقت روسيا القيصرية على (مذكرة الضمانات الأربعة) أساسا للمفاوضات(١٣٣). ولكن إصرار الحلفاء على تجريد البحر الأسود من أي مظاهر عسكرية، واعتباره منطقة محايدة، بالمقابل رفضت روسيا القيصرية هذا الشرط الذي يعني نهاية أطماعها في المنطقة. ونتيجة ذلك، انتهت المفاوضات بالفشل(١٣٤). وعلى أثرها قرر الحلفاء الاستمرار في الحرب.

بسقوط سيباستيبول تكون الحرب عمليا قد توقفت، إلا أن روسيا القيصرية لم تكن راغبة في عقد الصلح، إذ أعلنت عن عزمها في مواصلة الحرب حتى تستعيد سيباستيبول من جديد نظرا لأهميتها الإستراتيجية(١٣٥). بالمقابل، رأى الحلفاء ضرورة العمل من اجل تعزيز التحالف من اجل إجبار روسيا القيصرية على الاستسلام بأسرع وقت ممكن. ويقف في مقدمة هؤلاء بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني، الذي يرى ضرورة مواصلة الحرب ليس من اجل تقليم مخالب الدب الروسي فحسب، وإنما العمل على قلعها تماما حتى لا يفكر مرة أخرى بتهديد مصالح بريطانيا(١٣٦). ولكن بريطانيا، في ذات الوقت، لم تكن قادرة عبر هذه المرحلة على مواصلة الحرب لوحدها ضد روسيا القيصرية، وإنما لابد أن يستمر معها حلفائها في الحرب (١٣٧). ومن أجل ذلك دخلت فرنسا في مفاوضات مع السويد من اجل إقناعها في الدخول في الحرب ضد روسيا القيصرية. إلا أن السويد طلبت بعض الشروط التعجيزية حالت دون انضمامها الى التحالف، ولكن في نفس الوقت اتفقت السويد مع بريطانيا وفرنسا في يوم ٣١ تشرين الثاني ١٨٥٥ على عدم تنازل السويد عن أي منطقة لروسيا أو أن تسمح باحتلالها، وان أي طلب من هذا القبيل تنقله السويد الى بريطانيا وفرنسا اللتين ستقومان بمساعدتها على رفضه(١٣٨).

في هذه الأثناء، كان نابليون الثالث يفقد مع مرور الوقت اهتمامه بموضوع الحرب. وعلى مايبدو انه بعد انتصاره على روسيا القيصرية في القرم، وكلل عرشه بالغار وعزز حكمه في وجه معارضيه، لم يعد مهتما بالأمور الأوربية عبر هذه المرحلة، وأراد وضع حد للحرب. في ذات الوقت شعرت بريطانيا أنها بإصرارها على مواصلة الحرب ربما ستبقى لوحدها على الساحة في وجه روسيا، لذا انضمت هي الأخرى إلى جانب الإمبراطور الفرنسي من اجل إنهاء الحرب. وقررت الدولتان الرجوع الى فكرة استخدام النمسا في الضغط على روسيا لتحقيق هذا الهدف. وافقت النمسا على الفكرة، وقدمت الإنذار، الذي اتفقت عليه مع بريطانيا وفرنسا، في يوم ٢٨ كانون الاول ١٨٥٥ إلى روسيا القيصرية. وتضمن مايلي(١٣٩):

أ. استبدال الحماية الروسية على ولاشيا ومولدافيا بحماية الدول الكبرى اجمع.

ب. إقرار حرية الملاحة في نهر الدانوب.

ج. منع الأساطيل الحربية من المرور عبر المضائق العثمانية الى البحر الأسود. ومنع كل من روسيا القيصرية والدولة العثمانية أن يكون لهما أسطول حربي في البحر الأسود، او تحصينات عسكرية على سواحله.

د. تخلي روسيا القيصرية عن حماية رعايا السلطان المسيحيين.

ه. تنازل روسيا القيصرية لصالح مولدافيا عن الجزء المتاخم للدانوب من بسارابيا.

وحينما أخذت روسيا القيصرية تماطل في إعلان موافقتها على الإنذار، أعلنت النمسا في ١٠ كانون الثاني عام ١٨٥٦ أنه في حال عدم موافقة روسيا القيصرية على البدء بمفاوضات السلام على أساس المذكرة عبر ستة أيام، فانها ستقطع علاقاتها الدبلوماسية معها، وستعلن الحرب عليها. وعلى اثر ذلك وافقت روسيا القيصرية على وقف إطلاق النار والمشاركة في مؤتمر السلام في باريس مدينة الأنوار(١٤٠).

٤. مؤتمر السلام في باريس ١٨٥٦:

بعد موافقة روسيا القيصرية على شروط الاستسلام تقرر عقد مؤتمر دولي من اجل السلام في باريس تحضره الأطراف المتنازعة لتسوية الأمور والخلافات التي دفعت بهم نحو الحرب(١٤١). وحضر المؤتمر ممثلو كل من بريطانيا، فرنسا، النمسا، الدولة العثمانية، مملكة سردينيا، وأخيرا روسيا القيصرية. أما بروسيا فلم تستدع الى المؤتمر إلا بعد افتتاحه بفترة من الزمن، بسبب رفض بريطانيا ذلك، وعلى مايبدو انه معاقبة لها على دورها المتردد في زمن الحرب(١٤٢).

بدا المؤتمر أعماله في يوم ٢٥ شباط عام ١٨٥٦ برئاسة وزير خارجية فرنسا السيد لوتسكي. أما الوفد البريطاني فقد كان برئاسة وزير الخارجية كلارندون، في حين مثل روسيا القيصرية الكونت ارلوف، صاحب الخبرة الدبلوماسية، والذي دخل منذ اليوم الأول من حضوره الى باريس في مفاوضات منفردة مع نابليون الثالث، ونجح في إقناعه بأهمية حدوث تقارب بين الدولتين. أما بريطانيا فقد كانت على العكس من فرنسا في موقفها مع روسيا القيصرية، إذ كانت تريد إضعافها بأي وسيلة ممكنه حتى لا تتمكن من استعادة قدراتها من جديد وتهدد المصالح البريطانية. هذا التناقض في المواقف بين بريطانيا وفرنسا تجاه روسيا القيصرية اضعف تماسكهما ومواقفهما من المواضيع المطروقة في المؤتمر. وانصب في صالح روسيا القيصرية(١٤٣). ولابد من الإشارة هنا، الى أن مؤتمر باريس يعتبر أول مؤتمر أوربي يعقد منذ مؤتمر فيرونا في عام ١٨٢٢، كما أن الاجتماعات التي تخللته كانت من الأهمية ، بحيث يمكن اعتبار كل واحد منها مؤتمرا قائما بذاته، يتناول قضية معينة من القضايا التي شغلت أوربا(١٤٤). أما الدولة العثمانية، فعلى الرغم من أنها المعنية بما حدث إلا أنها لم تلق العون والإسناد لمواقفها إلا في بعض الأمور فيما يريدونه ذوي المصلحة. والأكثر من هذا، إن الوفد العثماني لم يحضر بعض جلسات المؤتمر مما يدل على مدى تجاهل الدول الأوربية لمكانتها(١٤٥).

حاولت روسيا القيصرية قدر جهدها في المؤتمر دفع أقل التكاليف، فعلى سبيل المثال لم يعترض الوفد الروسي على مسألة حياد البحر الأسود، لكون بريطانيا وفرنسا كانتا متوافقتان على هذا المطلب. ولكن حينما طلب بريطانيا حياد بحر الآزوف رفض الروس الطلب مستندين على الدعم الفرنسي لهم في هذا الجانب(١٤٦). واستمرت المفاوضات داخل أروقة المؤتمر بين شد وجذب حتى وقع الحضور في ٣٠ اذار عام ١٨٥٦م على اتفاقية التسوية، التي عرفت باسم معاهدة باريس. والتي تضمنت الأمور التالية(١٤٧):

- إنهاء حالة الحرب وإقرار السلام بين الإطراف المتحاربة، وانسحاب القوات المتحاربة من مواقعها التي احتلتها إثناء الحرب.
- تبادل الأسرى بين الطرفين.
- الإفراج عن رعايا السلطان الذين انضموا إلى جانب روسيا القيصرية إثناء الحرب.
- تتعهد الدول بإحترام إستقلال الدولة العثمانية وكمالها الإقليمي، وإعلانها بالمقابل موافقتها على الاشتراك في القانون العام والنظام الأوربي، وعلى الدول الأوربية إن تحترم استقلال الدولة العثمانية ووحدة أراضيها.
- يعد السلطان بمواصلة حركة الإصلاح في بلاده وتطبيقها بين رعاياه من دون أي تميز في الدين والجنس.

- إعادة العمل للقاعدة القديمة بخصوص الإشراف الدولي على المضائق بدلا من سيطرة دولة واحدة عليها.
- يعتبر البحر الأسود بحرا محايدا، ومياهه مفتوحة أمام جميع السفن التجارية لجميع الدول.
- تتخلى روسيا القيصرية عن المطالبة بحماية رعايا الدولة العثمانية من الأرثوذكس .
- عدم استخدام السلاح في حل المنازعات بين الدول. وترك الفرصة للدبلوماسية من أن تأخذ دورها في حل تلك المنازعات.
- تتخلى روسيا عن جزء من بسارابيا لصالح مولدافيا.
- حرية الملاحة في نهر الدانوب.
- تتخلى روسيا القيصرية عن حمايتها عن ولايتي الدانوب وإعادتهما الى الدولة العثمانية على أن تتمتعا بامتيازاتهما السابقة بضمان دولي.
- ضمان الدول الموقعة على المعاهدة استقلال صربيا الذاتي على أن تبقى تحت السيادة العثمانية .

وهكذا انتهت حرب القرم بتوقيع معاهدة باريس، ولكن الصلح هذا لم ينه التوتر السائد في العلاقات بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية.

الخاتمة:

عبر دراستنا لموضوع(حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦: كبح للطموح الروسي وبداية الانهيار العثماني) يمكن استنتاج بعض الأمور، وهي كالأتي:

١. أن اندلاع هذه الحرب لم يكن من اجل الدفاع عن الدولة العثمانية بقدر ما هي محاولة من بريطانيا وفرنسا لإضعاف روسيا القيصرية والحد من جموح الدب الروسي باتجاه الوصول إلى المياه الدافئة عبر القضاء على الدولة العثمانية والسيطرة على ممتلكاتها.
٢. لم تسجل الحرب انتصارا لأي طرف على حساب طرف آخر، إذ لم تبدل الحرب، ومعاهدة باريس، شيئا من أوضاع الدول الأوربية الكبرى فيما يخص المصالح والنفوذ.
٣. سجل ظهور الجنود الانكليز والفرنسيين حلفاء ورفاقا في السلاح تحولا عظيما في السياسة الأوربية، الذي قيل انه لم يحدث منذ الحروب الصليبية، والذي شكل بداية تبلور(الاتفاق الودي) الذي توطدت أركانه في أوائل القرن العشرين.
٤. شلت الحرب قدرات روسيا القيصرية العسكرية والسياسية لفترة قاربت ٢٥ سنة لم تستطع عبرها ان تمارس أي نشاط دولي واضح في المجال الأوربي.
٥. استنزفت الحرب إمكانيات الدولة العثمانية نظرا لارتفاع المصاريف الحربية التي قدرة حوالي عشرة ملايين جنيه إسترليني الأمر الذي أدى إلى عجز في ميزانية الدولة تتطلب سده الاقتراض من الخارج. وهو الأمر الذي فسح المجال أمام الدول الأوربية لان تتدخل أكثر فأكثر في شؤون الدولة العثمانية الداخلية بحجة الديون هذه.
٦. كشفت الحرب التطور السريع في وسائل القتال والاتصال والمواصلات. إذ استخدم في الحرب الأسلحة الحديثة والسفن البخارية وخطوط التلغراف وغيرها من الوسائل الحديثة.
٧. دخول الدولة العثمانية طرفا في القانون العام والنظام الأوربي، وتعهد الدول الأوربية الكبرى مجتمعة على المحافظة على هذا الوضع الجديد.
٨. حققت معاهدة باريس لبريطانيا ما كانت تعمل عليه، بالاشتراك مع فرنسا، بخصوص المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية حفاظا على مصالحهما هناك، ولكي تكون حاجزا بين روسيا القيصرية والمياه الدافئة.
٩. انكفاء روسيا القيصرية بعد الحرب نحو أمورها الداخلية بشكل اكبر مما كانت عليه من قبل.
١٠. كما سجلت الحرب حالة الضعف التي وصلتها الدولة العثمانية، وان بقائها لم يعد امرا تتحكم به، وانما بيد الدول الكبرى وطبيعة مصالحها.

خريطة رقم(١)

سير عمليات حرب القرم(١٤٨)

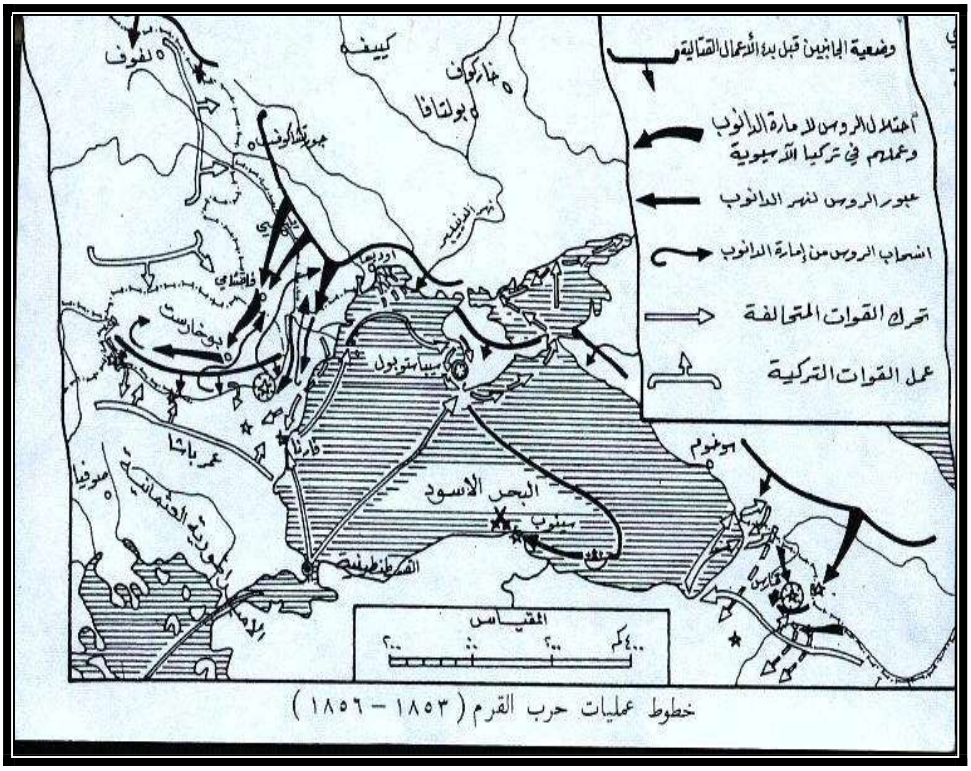

خطوط عمليات حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦)

خريطة رقم(٢)

حصار سيباستيبول من قبل دول الحلفاء(١٤٩)

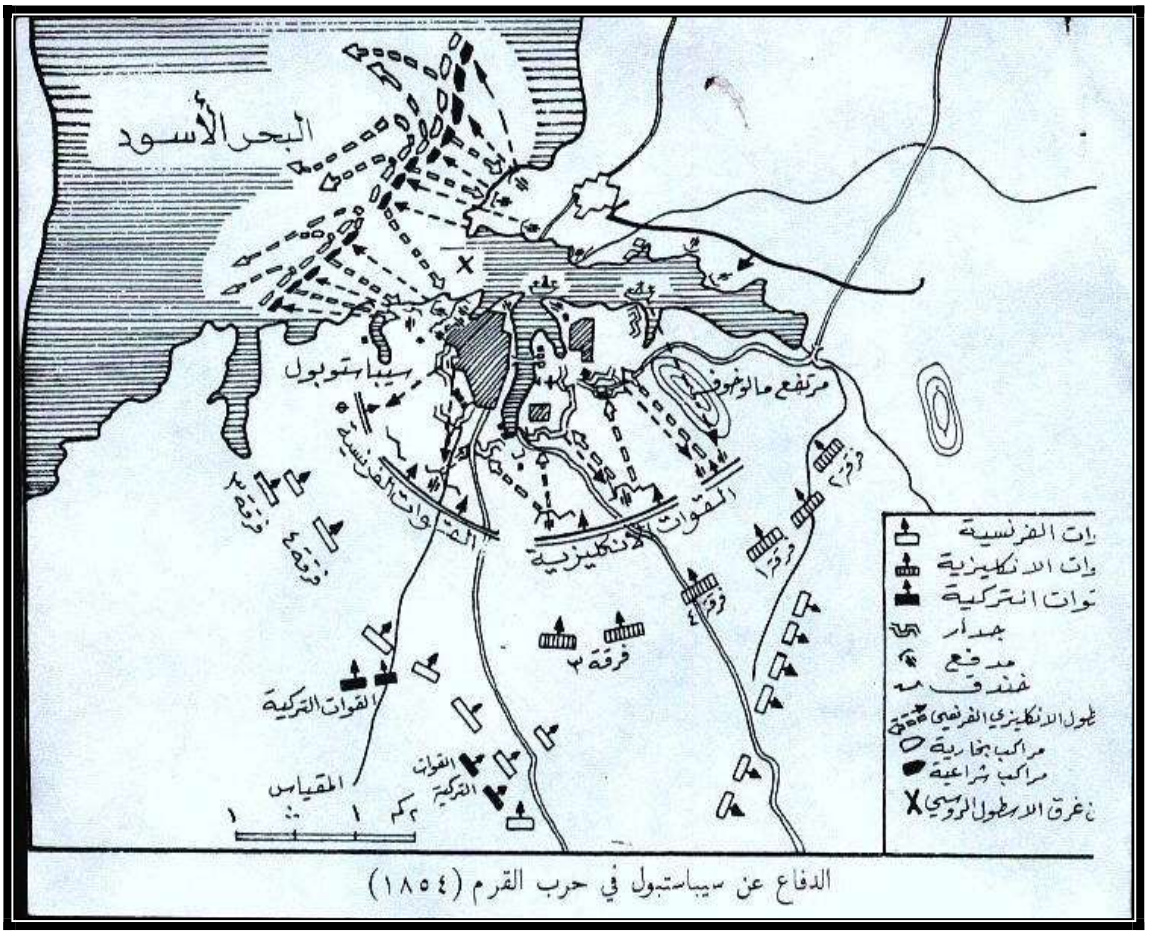

الدفاع عن سيباستبول في حرب القرم (١٨٥٤)

الهوامش:

١. شهد العام ١٨٤٨م حدوث ثورات شعبية ضد الأنظمة الدكتاتورية في القارة الأوربية، وكانت انطلاقتها من فرنسا ثم انتقل تأثيرها الى الأراضي الألمانية والايطالية والنمسا والمجر وبلاد الجيك. إذ تطلعت الشعوب الى الحرية والاستقلال والديمقراطية. لكن الأنظمة الرجعية لم تقف

مكتوفة الأيدي إزاء ذلك، وإنما حاربتها وتمكنت من القضاء عليها. وقد اشر ذلك، تراجعا للقوى الليبرالية وتسلط المؤسسة العسكرية على الأمور. للتفاصيل ينظر: خضر خضر، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى ١٧٨٩-١٩١٤، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٨٠-١٨٩.

٢. يعد المضايق العثمانية(البوسفور والدردنيل) من أهم الممرات البحرية التي تمتعت بأهمية إستراتيجية بالنسبة إلى روسيا القيصرية لأنها كانت تتحكم بالمرور من والى البحر الأسود. ونتيجة إلى هذه الأهمية، فأنها كانت مثار نزاعات دولية عديدة، لاسيما عبر القرن التاسع عشر الميلادي، إذ كانت روسيا القيصرية تسعى إلى تأمين مخرج لها نحو المياه الدافئة (البحر الأبيض المتوسط) بما يضمن عدم تعرض مصالحها إلى الخطر. للتفاصيل ينظر: لويس الحاج، مشكلة المضايق والعلاقات الروسية التركية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٧، الطبعة ١.

٣. عبد الرؤوف سنو، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧- ١٨٨١ ... بلاد الشام- الحجاز – كردستان – ألبانيا، دار بيسان، بيروت، ١٩٩٨، الطبعة ١، ص ٢١.

٤. الأرثوذكسية: هي كلمة تتكون من مقطعين، الأول أرثو تعني الرأي، والثاني ذوكس يعني المستقيم، أي الرأي المستقيم. وهي أحد الكنائس الرئيسية الثلاث في الديانة المسيحية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ١٠٥٤م، وتمثَّلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا الفاتيكان عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الأب وحده، وعلى الرغم من الخلاف بينهم حول طبيعة السيد المسيح، ويتركَّز أتباعها في المشرق العربي وشرق أوربا، ولذلك يطلق عليها أحيانا اسم(الكنيسة الشرقية). للمزيد من المعلومات ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٥٨٢-٥٨٥. منشورة على الشبكة العالمية للمعلومات(الانترنيت): www.alkashf.net.

٥. محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، د.ت، ص ١٦٩.

٦. محمد الفاتح: هو السلطان محمد الثاني ولد في عام ١٤٢٩م، تولى الحكم في الدولة العثمانية عمره ٢٢ عاما، عرف عنه القوة والعدالة، قام بإصلاحات كثير لمؤسسات الدولة، ومن أهم ما قام به هو فتح مدينة القسطنطينية في يوم ٢٩ ماي ١٤٥٣م. توفي في يوم ٣ ماي ١٤٨١م وهو يبلغ من العمر الثانية والخمسين. للمزيد من المعلومات ينظر: حامد غنيم أبو سعيد، السلطان محمد الفاتح... صفحات مجيدة في الجهاد ونشر الإسلام، الإسكندرية، مكتبة الإشعاع الفنية، ١٩٩٩، ص ٤٧- ٥٠

٧. محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دمشق، دار العلم للملايين، ١٩٩٩، ط ٢ ، ص ١٢٨.

٨. عمر عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١، ص ٤١.

٩. محمد حرب، المرجع السابق، ص ١٢٨.

١٠. المرجع نفسه، ص ١٣١- ١٣٣.

١١. نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية في أوروبا ... يقظة القوميات الأوربية القومية والوطنية، ج ١، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٤، ط ٢ ، ص ٧٢.

١٢. محمد حرب، المرجع السابق، ١٤١.

١٣. بيير رونوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤، ت: جلال يحيى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ط٢، ص ٢٨.

١٤. هـ.أ.ل فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩ – ١٩٤٥، ت: احمد نجيب هاشم و وديع الضبع،القاهرة، دار المعارف، د. ت، ط٥، ص ٣٥٥-٣٥٦.

١٥. نيقولا الأول(١٨٢٥-١٨٥٥) هو الإمبراطور الخامس عشر في روسيا القيصرية، ولد في يوم ٦ تموز عام ١٧٩٦ في قصر بيرورات في غاتتشينا. أبوه هو القيصر بآفل الأول، والدته هي

ماريا فيودوروفنا. وتلقى تعليمه في الهندسة العسكرية . تولى الحكم بعد أن تمكن من القضاء على التمرد الذي عرف باسم (مؤامرة ديسمبر) في شهر كانون الأول عام ١٨٢٥. وبعد توليه الحكم قام بالعديد من الأعمال على الصعيد الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الداخلي، أعاد بناء الجيش الروسي وتقوية الأجهزة الأمنية لمواجهة الأفكار التقدمية،كما ركز على مسالة تطوير القدرات الزراعية في بلاده. وعلى الصعيد الخارجي فقد ركز على ثلاثة محاور: محاربة الدولة العثمانية، وقمع الحركات الثورية في أوربا، وتوسيع الإمبراطورية الروسية. تزوج من الكسندرا فيودورفنا عام ١٨١٧، وهي أميرة من مملكة بروسيا. توفي في يوم ٢ اذار عام ١٨٥٥في مدينة سانت بطرسبرغ، وأنجبت منه سبعة أطفال. ينظر:
https://en.wikipedia.org/wiki/Nicholas_I_of_Russia.
تاريخ الزيارة في ٢٢ شباط ٢٠٢١

١٦. ا.ن. جرانت وهارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩- ١٩٥٠، ج2، ت: محمد علي ابودره ولويس اسكندر، القاهرة، موسسة سجل العرب، ١٩٧٨، ص ٧.
١٧. صلاح هريدي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ١٧٨٩- ١٩١٤، الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٢، ص ١٩٢؛ مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ... من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الأولى ١٧٨٩- ١٩١٤، ج 2، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٤، الطبعة ١ ، ص ٧٨٩.
١٨. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ... دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠، ط ١، ص٣٥٢.
١٩. المرجع نفسه، ص ٣٥٢.
٢٠. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٠-١٩١؛ عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية... الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٣، ص ٢٣٦.
٢١. خيرية قاسمية، تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٠٦.
٢٢. فرانسوا جورج دريفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام... من عام ١٧٨٩ حتى أيامنا، ج ٣، بيروت، دار عويدات ، ١٩٩٥، ط ١، ص ٣١٠.
٢٣. عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر... أوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ص ٢٣٢.

٢٤. للمزيد من المعلومات عن الإصلاحات العثمانية والتي زامنت فترة حكم القيصر نيقولا الأول ينظر:علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣، ط٣، ص١٢٧-١٦٢؛ زينب أبو سنة، تركيا الإسلامية... الحاضر ظل الماضي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٦، ط١، ص٩١-١٢٢.
٢٥. يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد ٢، ترجمة: عدنان محمود سليمان، اسطنبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٩٠، ص ٤٦ .
٢٦. بيير رونوفان، المرجع السابق،ص ٢٠٠.
٢٧. جمال محمود حجر، قضايا التاريخ الأوربي في القرنين التاسع عشر والعشرين، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣، ص ٢١٨- ٢١٩.
٢٨. عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١١٠.
٢٩. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٠-١٩١.
٣٠. خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص١٠٦- ١٠٧؛ أ. ن جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق، ص ٣٥٩.
٣١. محمد قاسم وحسين حسني، تاريخ القرن التاسع عشر، القاهرة، بلا م. ن، ١٩٢٩، ط١، ص ١٩٥.

٣٢. الحروب النابليونية: وهي سلسلة الحروب التي خاضها نابليون بونابرت في القارة الأوربية من أجل بناء إمبراطورية فرنسية. وكان فشل الحملة التي قادها على روسيا القيصرية بداية تحطم الحلم الفرنسي إذ شهدت القوات الفرنسية تراجعا وانكسارا خطيرا أمام الجيوش الأوربية حتى كانت الهزيمة التامة في معركة ليبزك في ١٦ أكتوبر ١٨١٢م. ولم تنفع عملية هروبه من ألبا وتقدمه لمحاربة التحالف الأوربي في واترلو عام ١٨١٥م في إستعادة الحلم الإمبراطوري من جديد على هزيمته ونفيه هذه المرة إلى جزيرة سانت هيلانه، لتنتهي الحروب النابليونية وتنعم أوربا ببعض الهدوء. للتفاصيل ينظر: شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ط٢، ص ١٢٩-١٤٠.

٣٣. كان يحكم كل واحده منهما حاكم منتخب من قبل الأهالي يحمل لقب (أمير)، وكانتا تتمتعان باستقلال ذاتي تحت الحكم العثماني، وهاتان الولايتان تمثلان رومانيا حاليا. وقد احتلتهما روسيا القيصرية في أكثر من مناسبة منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي. ينظر: ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق،ص ٤٢٥.

٣٤. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١١١.

٣٥. خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص ١٠٦.

٣٦. للمزيد من المعلومات عن الثورة اليونانية، ينظر: بكر محمد إبراهيم، الدولة العثمانية، القاهرة، مركز الراية، ٢٠٠٦، ص ٢٤٤-٢٥١.

٣٧. وهي المعاهدة التي عقدت في يوم ٢١ جانفي ١٧٧٤ على اثر الهزيمة التي تعرضت لها القوات العثمانية أمام القوات الروسية. ومن أهم ماورد فيها حق روسيا القيصرية حماية الأرثوذكس من رعايا الدولة العثمانية، فضلا عن تنازل الدولة العثمانية عن الأراضي الواقعة بين نهري البوك والدينستر المطلة على البحر الأسود، في الشمال الغربي منه، إلى جانب دفع التعويضات إلى روسيا القيصرية. للمزيد من المعلومات ينظر: أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية... تاريخ وحضارة، مج ١، ت: صالح سعداوي، اسطنبول، مركز أبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩، ص ٣٣٦-٣٣٧.

٣٨. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٢١.

٣٩. احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٦، ص٢٠٨_٢٠٩.

٤٠. ميلاد القرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، طرابلس، الجامعة المفتوحة، ١٩٩٥، ط٢، ص١٢٨.

٤١. جمال محمود حجر، المرجع نفسه ص ٢٢٨.

٤٢. ارتكزت السياسة الخارجية البريطانية، فيما يخص الدولة العثمانية، عبر القرن التاسع عشر الميلادي. وتحديدا منذ توقيع روسيا القيصرية معاهدة أونكيار سكله سي عام ١٨٣٣م مع السلطان العثماني محمود الثاني إلى العمل بكل قوة من أجل منع أي تقارب بين الدولتين لما في ذلك من تهديد لمصالح بريطانيا في الممتلكات العثمانية، وبقية مناطق الشرق الاخرى. وعليه، فقد عملت بريطانيا على تكريس سياسة المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية خوفا على مصالحها ومنعا للدب الروسي من الوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضائق العثمانية. للتفاصيل ينظر:

Harold Temperley, England and The Near East, London, 1964, P. 71-74.

٤٣. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٤٤. وقعت هذه المعاهدة بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية في ٨ جويلية ١٨٣٣، ونصت تحديدا على إغلاق المضائق أمام جميع السفن الحربية وهو ما يحرر روسيا القيصرية من كل تهديد فرنسي أو بريطاني في حوض البحر الأسود، وسمحت للأسطول الروسي بدخول البوسفور

للدفاع عن اسطنبول، كما تعهدت فيها روسيا القيصرية بالدفاع عن الدولة العثمانية أذا هاجمها المصريون أوغيرهم ليكون لها بذلك سبيل للتدخل في شؤون الدولة الداخلية . للمزيد من المعلومات، ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٧، ص ٢٦٣.

٤٥. الكسندر منشكوف: وزير الدفاع في الحكومة الروسية.

٤٦. عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية... الأتراك العثمانيون ـ الفرس ـ مسلمو الهند، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩١، ص١٩١.

٤٧. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٣؛ جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٤٨. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق ، ص ٢٦٣.

٤٩. كان اعتقاد القيصر الروسي كلما كان الوفد كبيرا سوف يترك اثرا عميقا والرعب في نفوس السلطان العثماني و اعضاء حكومته. ينظر: خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٨٩.

٥٠. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٨٩؛ جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٥١. عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص١٩١؛ عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، دراسات في تاريخ أوربا الحديث والمعاصر١٨١٥-١٩٥٠، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٩، ط١، ص١٠٦.

٥٢. وكان منصبه وقتذاك في اسطنبول من ارفع المناصب في الوزارة الخارجية البريطانية حيث يختار له اقدر الدبلوماسيين، وكان هذا السفير يتمتع منذ سنة ١٨٤٢م بنفوذ شخصي لا مثيل له في تاريخ السفارات، و تعمل له دوائر القصر السلطاني والباب العالي حسابا كبيرا، حتى كان يلقب باسم السلطان ستراتفورد، و قد حرص هذا السفير على سلامة الدولة العثمانية والمحافظة على ممتلكاتها، وكان لتدخله الأثر الكبير في انضمام بريطانيا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم لصد الزحف الروسي على الأراضي العثمانية،للمزيد من المعلومات، ينظر: نجيب صالح، تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦– ١٩٥٦، بيروت، دار اقرأ، ١٩٩٢، ص٥١.

٥٣. عمر عبد العزيز عمر، أوربا ١٨١٥– ١٩١٩، بيروت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص١٣٩.

٥٤. المصدر نفسه، ص ١٤٠.

٥٥. المصدر نفسه، ص١٤٠–١٤١؛ يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٤٨.

٥٦. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٤ .

٥٧. يلماز اوزتونا، المرجع السابق ، ص ٤٨.

٥٨. كان يحكمهما كل واحد منها حاكم منتخب من قبل الأهالي بلقب أمير، تتمتع باستقلال ذاتي تحت الحكم العثماني، وهاتان الولايتان تمثلان رومانيا حاليا. وقد احتلتهما روسيا القيصرية في أكثر من مناسبة منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي. ينظر: ا.ج.جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق،ص ٤٢٥.

59. M.A. Anderson, The Eastern Question 1774-1923…A study in International, glasgow,1970, P. 124-125.

٦٠. عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المرجع السابق، ص ١٠٨-١٠٩؛ يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٤٨.

٦١. احمد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٢١٠.

٦٢. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ١٤٩.

٦٣. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص٢٣٢.

٦٤. وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ١٣ جويلية ١٨٤١م بهدف تنظيم مسألة مرور السفن عبر المضائق العثمانية. وضمت الدول التالية الدولة العثمانية بصفتها صاحبة المضائق، بريطانيا، فرنسا، روسيا القيصرية، النمسا وأخيرا بروسيا. ينظر: فؤاد المرسي خاطر، الصراع الروسي

العثماني وأثره في الوطن العربي، مقال منشور في : المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٨-٢٩، لسنة ١٩٨١، القاهرة، ص ١٦٥.

٦٥. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٢.
٦٦. محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ١٥١.
٦٧. علي حسون، المرجع السابق، ص ١٤٥.
٦٨. محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ١٥١.
٦٩. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٢.
٧٠. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص١٥١.
٧١. يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٤٩.
٧٢. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ١٧١.
٧٣. يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٥٠.
74. M.A. Anderson, Op.Cit., P. 128.
٧٥. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٦.
٧٦. يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٤٩.
٧٧. صلاح هريدي، المرجع السابق، ص ١٩٩.
٧٨. انظر خريطة رقم (١).
٧٩. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٣.
٨٠. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ١٥٣.
٨١. محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ١٥١.
٨٢. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٩.
83. M.A. Anderson, Op.Cit., P. 131.
٨٤. عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المرجع السابق، ص ١١٢.
٨٥. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٨.
٨٦. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ١٥٥.
٨٧. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٣.
٨٨. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٣٤.
٨٩. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ١٥٥.
٩٠. عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المرجع السابق، ص ١١٣.
٩١. بسام العسلي، حرب القرم، مقال منشور في: الموسوعة العسكرية، ج١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ص ٧٥٣.
٩٢. (١) عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المرجع السابق، ص ١١٣.
٩٣. (١) بسام العسلي، المرجع السابق، ص ٧٥٣.
٩٤. ا.ن.جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق، ص ٤٢٦؛ جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٣٥.
٩٥. (١) محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ١٥٢.
٩٦. (١) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٨.
٩٧. (١) جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٣٤.
٩٨. (١) صلاح هريدي، المرجع السابق، ص ١٩٩.
٩٩. (١)يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص٥١؛.علي حسون، المرجع السابق، ص ١٥٦.
١٠٠. (١) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٩.
١٠١. (١) ا.ن. جرانت وهارولد تمبرلي، المرجع السابق، ص ٤٢٥.
١٠٢. عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

١٠٣. يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٥١.
١٠٤. فؤاد المرسي خاطر، المرجع السابق، ص ١٧١.
١٠٥. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٤-١٩٥.
١٠٦. المرجع نفسه، ص ١٩٥.
١٠٧. ا.ن. جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق، ص ٤٢٦.
١٠٨. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٦٩- ٢٧٠.
١٠٩. وهي الحملة التي قام بها نابليون من اجل القضاء على روسيا القيصرية. لكن حينما تقدم في العمق الروسي اكتشف بان الذي يقاتله الظروف المناخية الصعبة قبل الروس، اذ لم تقوى القوات الروسية على مواجهة ذلك العدو الخفي مما أدى الى انهزامها. للتفاصيل عن الحملة ينظر: محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ٥٠.
١١٠. المرجع نفسه، ص ١٥١.
١١١. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٧٠؛ جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٣٦.
١١٢. هـ.أ.ل فيشر، المرجع السابق، ص ٢٢٣.
١١٣. أنظر خريطة رقم(٢).
١١٤. المرجع نفسه، ص٢٢٣.
١١٥. المقصود بها تلك الحملة التي قام بها نابليون بونابرت في عام ١٨١٢م. وفيها لاقى الجيش الفرنسي الويلات حينما اتبع الروس سياسة الأرض المحروقة عند تراجعهم امام القوات الفرنسية، وحينما دخل موسكو في ١٤ سبتمبر وجدها محروقة حتى لا يتمكن من الاستقرار فيها عبر الشتاء الذي كان على الأبواب. ونتيجة ذلك تعرضت القوات الفرنسية لانتكاسة عسكرية مذلة وأثناء انسحابها تعرضت لنكبات ومآسي بسبب انخفاض معدلات درجات الحرارة وانقطاع الإمدادات. وكانت هذه الحملة بداية النهاية لعهد نابليون. للتفاصيل ينظر: محمد قاسم واحمد نجيب هاشم، التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١، ص ٨٢-٨٥.
١١٦. بسام العسلي، المرجع السابق، ص ٧٥٤.
١١٧. ايلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٥٢.
١١٨. بسام العسلي، المرجع السابق، ص ٧٥٤؛ ا. ن. جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق، ص ٤٢٦.
١١٩. المرجع نفسه، ص ٧٥٤.
١٢٠. عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، المرجع السابق، ص ١١٤.
١٢١. علي حسون، المرجع السابق، ص ١٥٧.
١٢٢. ا.ن.جرانت وهارولد تمبرلي، ج١، المرجع السابق، ص ٤٢٦.
١٢٣. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ٢٣٨.
١٢٤. ايلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٥٣.
١٢٥. عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص ٢٣٩.
١٢٦. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٤٣.
١٢٧. هـ.أ.ل فيشر، المرجع السابق، ص ٢٢٤.
١٢٨. ايلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٥٤.
١٢٩. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٢٧٤.
١٣٠. علي حسون، المرجع السابق، ص ١٥٧.
١٣١. ايلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ٥٤؛ محمد قاسم واحمد نجيب هاشم، المرجع السابق، ص١٩٩.
١٣٢. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٤٦.
١٣٣. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

١٣٤. محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ١٥٢.
١٣٥. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٥.
١٣٦. هـ.أ.ل فيشر، المرجع السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.
١٣٧. بسام العسلي، المرجع السابق، ص ٧٥٧.
138. M.A. Anderson, Op. Cit., P. 139.
139. M.A. Anderson, Op.Cit., P. 128..
١٤٠. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٧.
١٤١. فيما كانت المفاوضات جارية من اجل عقد الصلح بين روسيا والدولة العثمانية، كان السلطان العثماني عبد المجيد يعد وثيقة جديدة للإصلاح عرفت باسم خط شريف همايون، وجاء نتيجة للضغط الخارجي – الدول الحليفة لها في الحرب-، وصدر هذا الخط قبل أسبوع من عقد مؤتمر باريس، و اتخذت الدولة العثمانية وفقا لمضمون هذا الخط خطوات إصلاحية إيجابية لخير رعاياها، فأقر السلطان كافة المبادئ التي وردت في خط شريف كولخانة الذي صدر في عام ١٨٣٩، والتي يتعلق أكثرها بحقوق الطوائف غير الإسلامية ومصالحها، إذ تضمن الخط بصفة خاصة بالتأكيد على مبدأ المساواة القانونية والمدنية لكافة رعايا الدولة و حقوقهم في خدمته. ينظر: عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ٢٧٧.
١٤٢. عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠٠٤،ط١، ص ٤٧١.
143. M.A. Anderson, Op. Cit., P. 141.
١٤٤. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٥٤.
145. M.A. Anderson, Op. Cit., P. 142.
١٤٦. خضر خضر، المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩.
١٤٧. جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٤.
١٤٨. بسام العسلي، المرجع السابق، ص ٧٥٤.
١٤٩. بسام العسلي، المرجع السابق، ص ٧٥٤.